مهرجان القراءة للجميع



مهرجان القراءة للجميع

الامـــال الكبـــرى

تشارلـــز ديكنـــز

المؤلف

ولد تشارلس ديكنز فى انجلترا عام ١٨١٢ ، وكان ثانى ثمانية أبناء لأب يعمل كاتبا حكوميا ، وهى وظيفة متواضعة . ونظرا للفقر الذى كانت تعانيـه أسرته ، فقد التحق تشارلس بأحد المصانع فى لندن ليساعد فى اعالة الأسرة ، وكان عمره آنئذ لايتجـاوز العاشرة . وكانت هذه التجربة شديدة الأثر فى نفسه ، وتركت انطباعا عميقا ظهـر فى العـديد من الروايـات التى كتبها تشارلس عن أبطال صـــغار عانوا الكثير من الوحدة والعذاب .

وبسبب ميراث ضئيل هبط على الأسرة بطريقة غير متوقعة ، سمح لتشارلس أن يعود الى المدرسة وأن يترك العمل فى عبودية المصانع ·

كذلك فقد استطاع تشارلس أن يعمل مراسلا لاحدى الجرائد ، وهو عمل أتاح له التأمل فى أحوال الناس ، وخرج منه بتجربة مكنته من تأليف العديد من القصص والمشاهد التى تركت ـ ومازالت تترك أثرا لا يمحى فى ذاكرة قرائه ·

وكان تشارلس ديكنز فى الرابعة والعشرين من عمره ، عندما أصدر أولى رواياته « مذكرات بيكويك سنة ١٨٣٦/١٨٣٧ · وأصبح بذلك من أكثر الكتاب الانجليز شعبية وشهرة · وقد ازدادت هذه الشعبية واتسع نطاقها عندما صدرت رواياته الأخرى تباعا ·· دافيد كوبرفيلد ·· أوليفر تويست ·· أغنية عيد الميلاد ·· قصة مدينتين ·· الآمال الكبرى ·

ومثل العديد من رواياته ، كانت رواية « الآمال الكبرى » تدور حول الأثر الشىء الذى قد

تتركه النقود فى نفوس الناس . وقد ظهرت هذه الرواية أولا كحلقات مسلسلة نشرت فى احدى المجلات الاسبوعية .. وفى هذه الحلقات كان بطـل الرواية الرئيسى « بيب » يحكى قصة حيـــاته منذ كان فى السابعة من عمره حتى أصبح شابا يافعا .. ويشرح التحولات العميقة التى طرأت في حياته .. وحولته من انسان أناني يملؤه الغرور ، الى انسان طيب يتعاطف مع الآخرين .

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته فى الكتــابة والتأليف والقـاء المحاضرات التى يتنـــاول فيهـــا موضــــوعات رواياته .. وفى الدعـوة الى تدعيــم « المؤسسات الخيرية » التى ترعى الفقراء من الناس.. وظل مثابرا على ذلك حتى وفاته فى عام ١٨٧٠ .



بيب يزور قبر والديه

الفصل الأول

مقابلة بين المقابر

عشت معظم السنوات الأولى من حياتى فى مقاطعة « كنت » .. ومع ذلك فان مستنقعاتها الموحشة مازالت تخيفنى حتى الآن .. فقد كنت أتخيل وجود اشباح تتلاعب فى أطباق الضباب الكثيف ، كما اتخيل سماع أصوات غريبة صادرة من تدفق المياه فى مجرى النهر المجاور .

وعندما كنت فى السابعة من عمرى .. وفى « عشية عيد الميلاد » .. ذهبت لزيارة قبر أبى وأمى



من فضلك يا سيلى .. لا تقتلنى

الذى يقع بساحة واسعة ملحقة بالكنيسة ·· وفى مكان يطل على مستنقعات موحشة ··

فى الحقيقة لم أشاهد أبى ولا أمى مطلقا ·· ولكنى أستطيع قراءة اسميهما المكتوبين على شاهد القبر : « فيليب ·· وجورجيانا بيروب » ·· « فيليب » كان اسم أبى واسمى أنا أيضا ·· ولكن عندما كنت أتعلم النطق فى طفولتى المبكرة ، كنت لا أستطيع نطق هذا الاسم نطقا صحيحا ·· وانما كنت أنطقه هكذا : « بيب » ·· وهو الاسم الذى ظل يطلق على طوال حياتى ·

وفى أثناء تلك الزيارة لقبر والدى ، حاولت أن أتذكر أى شىء عنهما فلم أستطع ·· لذلك فقد انهمرت الدموع من عينى وبدأت فى البكاء ·· وعلى حين فجأة سمعت صوتا مخيفا مرعبا يصيح بى : اسكت ·· توقف عن هذا الضجيج والا قطعت رقبتك ·· !

وظهر أمامى رجل عملاق خرج من بين المقابر ، وأمسكنى من ذقنى بقبضته الحديدية ·· كان يرتدى ملابس خشنة رمادية اللون ·· ويحيط بقدمه

طوق حديدى .. كانت ملابسه مبتلة ويرتعش جسمه الملطخ بالطين من شـدة البرد .. وأخـذ يحملق فى بعينين يتطاير منهما الشرر .. فقلت له وانا ارتجف من شدة الرعب : أتوسل اليك ياسيدى .. لا تقتلنى .. أرجوك .. !

وسألنى الرجل : ما اسمك ؟ .. أجب بسرعة .. وأين تعيش .. ومن هم أهلك .. ؟!

فقلت على الفور : اسمى « بيب » .. ووالداى مدفونان فى هـذه القبـور .. وأنا أعيش مع أختى « مسز جو جارجرى » وزوجها الحداد الذى يعمل فى هذه القرية .

فقال الرجل وهو ينظـر الى القيد الحديدى المربوط بقدمه : هه .. حداد ؟!

وفى لمح البصر ، أمسكنى بقوة ، وقلبنى راسا على عقب ، وأفرغ كل ما فى جيوبى .. ولم يكن معى سوى بعض المسامير وكسرة صـغيرة من الخبز .. ثم أجلسنى على شاهد حجـرى لأحد المقابر .. وأخذ

يلتهم كسرة الخبز ويبتلعها فى نهم شديد ·· وبعد أن انتهى من ذلك ، هزنى بقوة وقال : والآن أيها الوغد الصغير ·· هل تعرف « المبرد » الحديدى ·· ؟

فأومأت اليه براسى موافقا ، لأنى كنت عاجزا عن الكلام من شـــدة الرعب ·· وقال : اذن عليك باحضار مبرد حديدى ·· واحضار بعض الطعام ·· عليك باحضارهما الى هنا فى صباح الغد ·· فاهم ؟!

واخـذت أبلع ريقى بصـــعوبة ·· وقلت لـه وانا ألهث : حاضر يا سيدى ·· !!

ـ واياك أن تخبر أحدا بذلك ·· والا لقتلناك فورا ·· فأنا أعرف صديقـا لى يهوى قتـل الأولاد وتمزيق قلوبهم ·· فقد تظن انك ستكون آمنا وتنام فى سريرك مطمئنا ·· ولكن صـديقى هذا قادر على التسلل الى غرفة نومك الدافئة ليقتلك فى لحظة ·· تذكر هذا جيدا ·· هيا ·· انصرف الآن ·· !

وأومأت براسى اليه موافقا على كل ما قاله ·· وقفزت على الفور وانا لا أصدق نجـاتى ·· وأخذت



بيب يتلقى الأوامر

اجرى باقصى سرعة فى اتجـاه البيت ·· وكان قلبى يدق عاليا لدرجة انى كنت اسمع دقاته ··

ولكن فى البيت كانت تنتظرنى متاعب أخرى فبينما كنت أتسلل على أطراف قدمى متجها الى المطبخ، شاهدنى زوج أختى الحداد « جو » فهز رأسه الأشقر وسألنى : اين كنت يا « بيب » ·· أن اختك قد خرجت للبحث عنك ·· !

وفى هذه اللحظة ، انفتح الباب بعنف ودخلت أختى وهى فى قمة الغضب ·· كانت أختى « مسز جو» تكبرنى بنحو عشرين سنة ، وكانت حـادة الطباع جدا ·· وبدون أن تنطق كلمة واحدة ، انقضت على وضربتنى على رأسى ، وقذفت بى نحو زوجها ··ولكن « جو » العملاق وقف حائلا بينى وبينها ·· وحاولت هى أن تراوغ زوجها العملاق لكى تمسكنى ، ولكنى تسترت خلفه ، وظللت أراوغها بمساعدة « جو » ·· الى أن تعبت وكفت عن ملاحقتى ··

وبعد أن انتهى هذا الخطر الداهم ·· ابتسم



جو يدافع عن بيب

« جو » وصحبنى الى مكان دافىء قرب المدفأة ٠
ومن هناك كنت أسمع قرقعة الأوانى والأطباق التى
تغسلها أختى فى المطبخ ٠٠ ثم سمعت صوت
« طلقة نارية » يأتى من بعيد ٠٠ فقلت هامسا :
ما هذا الصوت يا « جو » ٠٠ ؟

فقال « جو » وهو يشرح لى الأمر : هذه طلقة
تحذير ٠٠ تطلقها سفن السجن وهى تعبر النهر ٠٠
للتحذير من سجين هارب ٠٠ وهذه هى الطلقة الثانية
للدلالة على أن سجيناً آخر قد هرب ٠٠ أما الطلقة
الأولى فكانت فى الليلة الماضية لتحذيرنا من ان لصا
أو قاتلا قد استطاع الفرار ٠

كنت أرتعد وأنا أسمع ما قاله « جو » ٠٠
ودقت أختى على المائدة بنفاد صبر وهى تدعونا الى
تناول العشاء ٠٠ وأخذت تضع الزبد على الخبز
وناولت كل واحد منا نصيبه ٠٠ وبالرغم من أن « جو »
هو الذى يمدنا بالخبز وبالزبد ، الا أن طبيعته الطيبة
كانت تجعله يتقبل مثل هذه المعاملة من أختى التى
كانت تعامله ـ مثل ـ معاملة الأطفال ٠٠



بيب يخبىء الخبز للسجين

وبينما انهمكت أختى فى الحديث عن استعداداتها لحفل « عيد الميلاد » فى اليوم التالى ، وضعت نصيبى من الخبز بجيبى ‥ وقلت فى نفسى : اذا لم أجد شيئا آخر فى المطبخ ، فلا أقل من أحتفظ بهذا الخبز للسجين الهارب الذى ينتظرنى ‥

وكانت أختى لا تسمح لى بأن أضىء شمعة وأنا فى طريقى الى الصعود الى غرفتى العلوية ‥ لذلك فقد ازددت خوفا فى تلك الليلة وأنا أصعد درجات السلم ‥ وخيل لى أنى أنا أيضا سأكون سببا لأن تطلق سفينة السجن طلقاتها بعدما ارتكب سرقة بعض الطعام من المطبخ أو من غرفة الخزين .

وعندما رقدت على سريرى ‥ أخذت أتخيل ان سجينا صغيرا يقبع بجوار السرير متربصا بى ومستعدا لتمزيق قلبى ‥ ولهذا فقد احتفظت فى يدى بقطعة الخبز التى خبأتها لكى اريها له فلا يقتلنى ‥ وظللت على تلك الحال طول الليل ‥ ولكن السجين لم يظهر رغم توقعى لظهوره فى أية لحظة ‥ ولم أستطع النوم أو يغمض لى جفن ‥



الحصول على المزيد من الطعام

وفى الفجر عند ظهور اول خيط من ضوء النهار ، تسللت هابطا درجات السلم ، وكان وقع خطواتي على الأرض يكاد يصيح ضدى : أمسك حرامى

وبمناسبة العيد ، فقد وجدت بالمطبخ وبغرفة الخزين طعاما أكثر مما كنت اتوقع .. ولذلك فقد اخذت مزيدا من الخبز ، وقطعة كبيرة من الجبن ، وفطيرة كبيرة محشوة باللحم .. وبعض « البراندى » الذى افرغته فى زجاجة فارغة ، واضفت قدرا من الماء الى الزجاجة الأصلية حتى لا يحس أحد ما سرقته منها .. وقد جرؤت على أخذ فطيرة اللحم لأنى رأيتها موضوعة على الرف الخلفى ، فاعتقدت أن أختى لاتنوى تقديمها الينا فى وقت قريب ..

وكان بالمطبخ باب يؤدى الى ورشة الحدادة الخاصة بزوج أختى ، فتسللت اليها ، واخترت « مبردا » ثقيلا من الأدوات التى يستعملها « جو » .. وخبأت جميع هذه الأشياء داخل معطفى ، ثم أسرعت آخذا طريقى الى المستنقعات التى تغطيها شبورة الصباح ..



السجين الهارب الثانى ..

الفصل الثانى

السجين الثانى

كانت لم تزل هناك مسافة طويلة حتى أصل الى الحائط المهدم الذى أتوقع أن السجين الذى ينتظرنى يختبىء خلفه .. ولكنى رأيته فجأة أمامى.. رأيته من ظهره وهو جالس على حجر ، ويبدو نائما . واقتربت منه على حذر ، ثم أربت على كتفه لأنبهه . فهب واقفا على الفور واستدار الى .. ولكنه لم يكن نفس الرجل .. كان رجلا آخر ..

كان يرتدى أيضا ملابس خشنة رمادية اللون.. وفى قدمه قيد حديدى .. ولكن ملامحه كانت



السجين الجائع يأكل بشراهة

مختلفة ٠٠ التفت الى الرجل ، وهوى بيده ليضربنى على راسى ، ولكنى تحاشيت الضربة بسهولة ، لأنها كانت ضربة ضعيفة تدل على أن الرجل مريض ويعانى من شدة البرد ٠٠ وفجأة أخذ يفر من أمامى ، واختفى فى الضــباب الكثيف ٠٠ وكنت على يقين بان هذا الرجل هو صديق الرجل الآخر ٠٠ وهو الذى يمزق قلوب الأطفال ٠٠

وعنــــدما وصلت الى الحائط المهدم ، وجــدت نفس الرجل الذى شاهدته بالأمس ٠٠ كان « يتنطط » على الأرض بنشاط حتى يدفىء جســـمه ٠ ودون أن انطق بكلمة ، أخرجت المبرد والطعام من داخل معطفى، فاتسعت عيناه معبرا عن سروره ، ومد يده المرتجفة وبدأ يلتهم الطعام بنهم ٠٠ وعندما أخرجت الزجاجة وقدمتها اليه سأل مستفسرا : ماذا احضرت لى فى هذه الزجاجة يا ولد ٠٠ ؟

فاجبت : هذا بعض « البراندى » يا سيدى ٠٠ لعله يساعدك على التغلب على برودة المستنقعات ٠



لقد رايته هنـاك

فخطف الزجـــاجة من يدى فورا ، وشرب أكثـر كمية ممكنة ، ثم مسح فمه بظهر يده وقال : فكرة جيدة تدل على ذكائك ٠٠ هاه ٠٠ هل أخبرت أحداً ٠٠؟

فاجبت : لا ياسيدى ٠٠ لم أخبر احدا ٠٠ لقد سرقت لك هذا الطعام ٠٠

فاومأ برأسه راضيا ٠٠ وأخذ يقضم قطعا كبيرة من فطـيرة اللحــم حتى كاد أن يقضى على الفطـيرة بأكملها ٠٠ فقلت له : انى مسرور ياسيدى لأن الفطيرة أعجبتك ٠٠ ولكن ٠٠ ألن تحتفظ لصديقـك ببعض منها ٠٠ ؟

فقال بخبث ودهاء : تقصــد صديقى الذى يمزق قلوب الأطفال ٠٠ ؟

واخذ يضحك وهو يقول : لا ٠٠ انه ليس فى حاجة الى الطعام ٠٠

فقلت على الفور : لا اعتقد ذلك ياسيدى ٠٠ فهو يبدو جائعا وفى حاجة ماسة الى الطعام ٠٠



واخذ يبرد القيد الحديدي

عندئذ هب الرجل واقفا ، وامسكنى بكلتا يديه من ياقة معطفى وسألنى بلهفة : تقول انه « يبدو » !

·· هل رأيته ·· أين ·· ومتى ·· ؟

فاجبت بسرعة وأنا أشير الى الاتجاه الذى اختفى فيه الرجل الثانى : انه هناك ياسيدى ·· ! يرتدى مثل ملابسك ·· وفى قدمه قيد حديدى ·· لقد أطلقت سفينة السجن طلقة بالأمس لتحذر الناس منـه ·· ألم تسمـع هذه الطلقة ·· ؟

ـ ربما سمعتها ·· وربما لم أسـمعها ·· ان البقاء وحيدا فى مثـــل هذه المستنقعات ، شىء يدير الرأس ·· ما شكل ملامحه ؟ ·· صفه لى ·· !

واستعدت على الفور منظر السجين الثانى ·· بملامح وجهــه المعبرة عن الخوف والفزع ، وقلت : رأيت كدمة على خده ·· !

وعندئذ شعر بشىء من الارتياح وقال لى : انه هو بالفعل ·· سوف اصطاده كما تصاد الكلاب ·· ولكن أين المبرد ·· اعطنى المبرد يا ولد ··

وكان المبرد قد سقط على الارض حين كان الرجل يتناول لفة الطعام ·· فالتقطته وقدمته اليه ·· وفى لمح البصر ، انحنى الرجل وركع على العشب المبتل ، وبدأ يبرد القيد الحديدى الملتف حول قدمه ·· يبرد بهمة وجنون ··

ورأيت أن أنصرف ·· فتراجعت بظهـــرى الى الخلف عدة خطوات وأنا أنظر اليه ·· ولكنه لم يهتم بى اطلاقا لشدة انهماكه فى برادة القيد الحديدى ·· وعندئذ استدرت وبدأت أجرى تجاه البيت ·· وبالرغم من انى ابتعـــدت كثيرا عن مكان الرجل ·· الا أنى مازلت أسمعه ·· يبرد ·· ويبرد ·· ويبرد ·· !

وفى البيت ، كانت أختى منهمكة فى أعمـــالها المنزلية ·· تروح وتغدو كالدوامة هنا وهنـــاك ·· تعلق الستائر النظيفة البيضاء ·· وترفع الأغطية عن الأثاث بغـــرفة الجلوس ·· وكانت هذه الغـــرفة لا تستعمل الا فى المناسبات الخاصة ، وبالطبع فان الاحتفال « بعيد الميلاد » كان أهم هذه المناسبات ··

وتناولت أنا و « جو » طعام الافطـــار ونحـ

واقفين ، لأن أختى لم تجد وقتا كافيا لتقديم الافطار على المائدة ·· كانت منهمكة بالفعل فى اعداد الطعام للضيوف المتوقع حضورهم فى اية لحظة ··

وفجـأة ، احسست وكان قلبى قد توقف عن النبض ·· هل كانت فطيرة اللحم معدة اذن للاحتفال بالعيد ؟ ·· لقد شعرت بالفزع من تلك الفكرة المخيفة ونتائجها ·· وظل هذا الاحساس يلازمنى حتى حين استدعتنى أختى وأخذت تغسـل لى وجهى ورأسى ، ثم ألبستنى أنظف ما لدى من ملابس ··

وكذلك ارتدى « جو » أنظف ملابسه ·· وجلسنا معا فى حجرة الجلوس ·· فى انتظار الضيوف ·· وعند اول طرقة على الباب الخارجى للبيت ، قمت وفتحت الباب لأول هؤلاء الضيوف ·· « مستر ووبسـل » كاتب الكنيسة ·· ثم حضر بعده صـانع العجلات وزوجته « مستر ومسز هابل » ··

وأخيرا وصل عمى « مستر بامبلشوك » بعربته الصغيرة ·· الحقيقة ان هذا الرجل هو عم « جو » ··



احتفال غير مريح بعيد الميلاد

ولكن أختى اعتبرته عما لها أيضا ، لأنه كان تاجر الحبوب بالمدينة ويتمتع ببعض الثراء ·· واستقبلته أختى بحفوة بالغة ·· وقاء الرجل بزهو وافتخار : « مسز جو » ·· لقد أحضرت لك هدية طيبة ·· نبيذا فاخرا من أحسن الأنواع ··

تمتع الجميع بتناول الطعام فيما عداى ·· فقد كنت ممنوعا من الكلام بأمر من أختى ·· رغم أن معظم الحديث كان يدور عنى ·· وعن المتاعب الكثيرة التى اسببها لأختى المسكينة ·· ولم تسمح اختى لزوجها « جو » أن يدافع عنى ·· وطلبت منه أن يوافق على كل أقوالها ·· ويبدو أن « جو » كان يود أن يعتذر لى بصمت ·· ووضع لى كمية كبيرة من الصلصة على قطعة اللحم الخاصة بى ·

ثم بدأ يحدث ما كنت أخشاه وأتوقعه ·· عندما قالت أختى بفرح : يا عمى « بامبلشوك » ·· لقد أعددت لك مفاجأة تحبها ·· فطيرة محشوة باللحم ·· !

وفى الحال ، صفق الجميع لهذا النبأ السعيد



- لقد اختفت الفطيرة ..!

.. وبدأ الضيوف يفتحون شهيتهم استعدادا لتلك الفطيرة .. وسمعت كل حركات أختى وهى تبحث عن الفطيرة فى كل مكان . وتخيلت ما سوف يحدث .. حين عادت أختى خالية اليدين وهى تقول : يا الهى .. لا أعرف ماذا حدث .. لقد اختفت الفطيرة !

ولم أستطع الصمود أكثر من ذلك ، فقمت واقفا ، واندفعت الى الباب لأهرب .. وما كدت أفتح الباب حتى صدمت بمنظر لم أتوقعه .. رأيت مجموعة من جنود الشرطة ، وكان قائدهم يمسك فى يده بقيدين حديدين ، رفعهما أمام وجهى وهو يقول . يا فتى .. !!



جنود الشرطة يطلبون المساعدة

الفصل الثالث

القبض ‥ والاعتراف ‥!

تلعثمت ‥ وتعثرت خطواتى وأنا أتراجع الى الخلف ‥ اذن ‥ لقد عرفوا أنى لص ‥ وجاءوا للقبض على ‥ وأمسكنى « جو » من ذراعى قبل أن أهوى الى الأرض ‥

وعندئذ فقط ، ابتسم لى قائد الشرطة ، وقال برقة وهو ينظر الى الجميع : معذرة سيداتى وسادتى ‥ أنا « جاويش » فى خدمة الملك ‥ وقد كلفت



جو يقوم باصلاح القيود الحديدية

أنا ورجالى بالقبض على السجناء الهاربين ٠٠ ونحن فى حاجة عاجلة الى خدمة من الحداد ٠٠

فقالت اختى قبل ان ينطق « جو » بكلمة :

هذا هو الحداد ٠٠ ماذا تريدون منه فى يوم الاحتفال بعيد الميلاد ٠٠ ؟

ـ نريد اصلاح هذه القيود الحديدية لأن قفلها لايعمل ٠٠ ونحن فى حاجة شديدة اليها ٠٠

اشارت أختى لزوجها لكى يبدى رايه ٠٠ فامسك بتلك القيود الحديدية وفحصها وقال : لابد من اشعال فرن الحدادة ٠٠ واصلاحها قد يستغرق ساعة كاملة ٠٠

فوافق قائد الشرطة وقال : لا باس ٠٠ فسوف نستطيع القبض على الهاربين قبل حلول لظلام ٠٠ وعلينا اذن اشعال الفرن ٠٠ !

ودخل جميع رجال الشرطة الى البيت ، ووضعوا أسلحتهم فى ركن من الحجرة ٠٠ وارتدى « جو »



مطاردة السجينين الهاربين ..

مريلته الجلدية استعدادا للعمل ، وذهب الى الورشة وتبعه جميع الجنود ـ ما عـدا قائدهم ـ لمساعدته فى انهاء العمل بسرعة .

وقام العـم « بامبلشوك » بدعـوة الجاويش الى الجلوس معنا حول المائدة .. وصب له كأسا من النبيذ الذى أحضره معه كهدية .. وفى لحظات عاد الاحتفال الى بهجته من جديد .. بينما كانت تسمع من بعيد دقات مطرقة « جو » وهو يدق بها على السندان .

وبعد أن انتهى « جـو » من اصـلاح القيـود الحديدية ، سـمح لنا قائد الشرطة بأن نصحبه لمشاهدة عملية القبض على السجناء الهاربين .. ولم يوافق على ذلك سوى « مستر ووبسل » و « جو » . كما سمحت لى أختى بأن أخرج فى صحبتهما ، ولكن بعد أن حلرت « جو » بصـوت مسموع : اذا عدت وراس الولد مقطوعة ، فلا تنتظر منى أن أعيدها الى مكانها الصحيح .. !

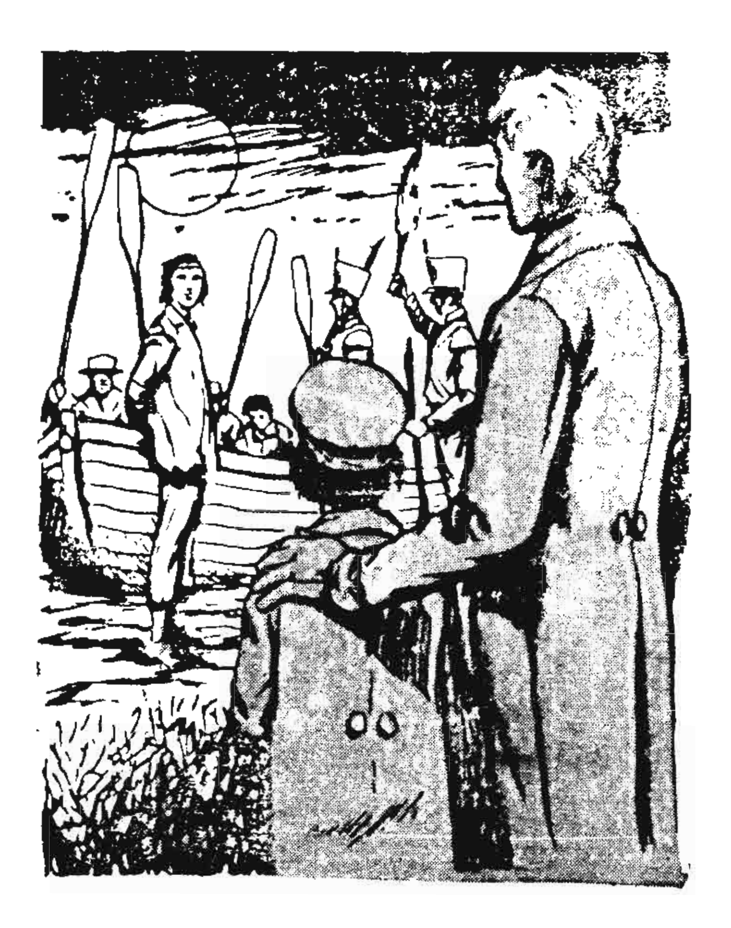


القبض على السجينين ٠٠ !

وذهبنا جميعا الى ساحة المقابر خلف الكنيسة .. نفس المكان الذى قابلت فيه السجين الأول .. وبينما كان الجنود يبحثون ويفتشون المكان .. بدأت أشعر بالخوف .. فربما ظن السجين الهارب أنى خدعته .. وانى أبلغت عنه رجال الشرطة .. وحضرت معهم لأرشدهم الى هذا المكان .. ولكن عندما لم يعثر الجنود على أحد ، تحركنا من جديد فى اتجاه آخر ..

وبدأ يسقط علينا مطر شبه متجمد .. ولكن على حين فجأة سمعنا صرخة عالية تأتى من بعيد .. فاشار الجاويش لرجاله بالتقدم نحو المكان الذى صدرت منه هذه الصرخة .. وأخذ الجميع يجرون بخطوات سريعة واسعة فلم أستطع اللحاق بهم ، فحملنى « جو » على كتفه وأخذ يجرى مع الرجال الى أن اقتربنا من حفرة واسعة يتناثر منها الماء والطين وسمعنا الجاويش يصرخ بقوة : سلما نفسيكما ! .. أنت وهو .. !

ووقف الجنود حول الحفرة وهم يصوبون بنادقهم نحو السجينين اللذين كانا منهمكين فى عراك



لقد سرقت بعض الطعام والبراندي

شديد ، ولم ينفذا الأمر الصادر اليهما بالتسليم ·· لذلك فقد نزل الجنود الى الحفرة ، وقبضـــوا على السجينين وهما فى حالة رثة ويلهثان من شـــدة التعب ·· وصـــاح السجين الأول غاضبا وهم يضعون يديه فى القيود الحديدية : تذكروا جيدا ·· أنا الذى قبضت عليه ·· لقد قبضت عليه من أجلكم ·· !

أما السجين الثانى فقد كان يعانى من شـــدة ما ناله من الضرب ، ويكاد يهوى الى الأرض غير قادر على الوقوف دون مساعدة ، وتلعثم وهو يقول مشيرا الى السجين الأول : لقد حاول أن يقتلنى ·· !

وقال السجين الأول على الفور : أنا لم أحاول قتله ، والا لنجحت فى ذلك بسهولة ·· لقد حرصت على القبض عليه حيا لأسلمه لكم ·· انظر يا سيدى الجاويش ·· ليس فى قدمى قيد حديدى ·· وكان يمكننى أن أذهب الى حال سبيلى ·· ولكن عندما عرفت أنه هرب ·· طاردته حتى لحقت به ·· ومنعته من الهرب ··

وعندئذ صاح به الجاويش آمرا : كفى !!

واشعلت بعض المشاعل كما أطلقت البنـــادق كاشارة الى سفينة السجن لكى ترسل قاربا الى هذا المكان ‥ وعلى ضوء المشاعل لمحنى السجين الأول ‥ ونظرت اليه مواسيا ، وحركت يدى حركـة خفيفـة وهززت راسى له كأشارة منى بأنى لست مسئولا عن احضار هؤلاء الشرطة للقبض عليـه ‥ وحملق فى عينى لحظـــة ، كمـــا لو كان يريد أن يتبين مدى صدقى ‥

ومشينا جميعا تجاه شاطىء النهر ، حيث وصل القارب لأخذ الجنود والسجينين الى السفينة ‥ وقبل أن يضع السجين الأول قدمه فى هذا القارب ، التفت الى الجاويش **وقال بصـوت عال سمعه الجميع** : أريد أن أقول شيئا ‥ لقد سرقت بعض الطعـام وبعض البراندى من بيت حداد القرية ‥ لقد سرقت فطيرة محشوة باللحم ‥

فقال « جو » على الفور : آه ‥ هذا هو لسبب فى أن زوجتى لم تعثر على الفطيرة ‥ ولكننا مع ذلك

لانبخل بطعامنا على شخص جائـع ‥ اليس كذلك يا « بيب » ؟!

فاومات براسى موافقـــا لانى كنت عاجزا عن الكلام ‥ وابتعد القارب بحمولته متوجها الى سفينة السجن ‥ أما نحن فقد اتجهنا الى البيت ‥



بيب يعمل مع جو فى ورشة الحدادة

الفصل الرابع

دعوة من الآنسة هافيشام

كان « جو » أميا لايعرف القراءة أو الكتابة ، بينما حصلت انا على قدر بسيط من التعليم •• ولكن نظرا لأنهم كانوا يعدوننى لكى أصبح صبيا مساعدا « لجو » فى أعمال الحدادة ، فقد اكتفوا بهذا القدر من تعليمى ••

كنت لا أرغب فى شىء أكثر من أن اصبح حدادا اساعد « جو » فى أعمال الورشة •• لقد كنت احب



العم بامبلشوك يقول اخباره

« جو » حبا جما وكان هو أيضـــا يبادلنى هذا الحب ويعطف على كثيرا ·· وكان يدافع عنى باســـــتمر ر وبقدر ما يستطيع ضد الضربات القاسـية التى كانت توجهها الى أختى ، ويحمينى من طباعهـا الحادة ·· وكان تدخــله هذا لا يعفيه من تلقى بعض الضربات نيابة عنى ، كما كانت أختى توبخنا نحن الاثنين معا ، وفى وقت واحد ··

وبعد انقضاء أيام قليلة بعد حفل « عيد الميلاد » حدث تغيير كبير فى حيـــاتى ·· فقـد جــاء العــم « بامبلشوك » فى أحد الأيـــام وقال ان الآنســـة « هافيشـــام » تدعونى اليها لألعب فى بيتها ·· وهى امرأة عجوز واسعة الثراء ، تعيش حياة كئيبة فى بيت كبير مهمل ··

ولم أكن قد رأيت هذه السيدة العجوز من قبل، ولكنى سمعت عنها كثيرا ·· وكنت أعرف انها تعيش وحيدة منعزلة ، وان بيتهـا مغلق دائمـا بالمتاريس

خوفا من سطو المصرس ‥ والآن عاهى السيدة الغريبة تدعونى لكى « ألعب » فى بيتها ‥

وقال « جو » مندهشا : ولكن ‥ كيف توصلت هذه السيدة الى معرفة « بيب » ‥ ؟

فصاحت فيه أختى : يا ساذج ‥ من قال لك انها تعرفه ‥ ؟

ثم ابتسمت الى العم « بامبلشوك » وقالت : ان عمك يستأجر بعض أملاكها ‥ وعندما كان يدفع لها الايجار فى يوم ما ، سألته السيدة اذا كان يعرف صبيا لتدعوه لكى يحضر ويلعب أمامها ‥ ولأن عمك طيب القلب ، فقد اقترح عليها دعوة هذا الولد لحسن حظه ‥ والآن ‥ ابعد عن طريقى كى أتولى تنظيفه واعداده لتلبية هذه الدعوة ‥

وعلى الفور أمسكتنى أختى وأخذت تغسل جسمى بالماء والصابون ، ثم جففتنى وألبستنى ملابس داخلية جديدة وأحسن مالدى من ملابس الخروج ‥ وأثناء

ذلك لم تكف أختى ولا العم « بامبلشوك » عن تبادل الأحلام بصوت عال .. وقالت أختى متمنية : اوه .. ليتنى كنت ولدا صغيرا لتدعونى هذه السيدة الثرية .. ربما ستعود هذه الدعوة بالنفع عليـــه .. بـل ستعود بالنفع علينا جميعا ..

وكان العم « بامبلشوك » يهز رأسه موافقا بوقار وهو يقول : لاشك فى ذلك .. لاشك فى ذلك .. لقد بدأ الحظ يبتسم له منذ الآن ..

وما هى الا لحظات حتى وضعونى فى عــربة العم « بامبلشوك » التى ستأخذنى الى حيث ألعب.. ولم أجسر على السؤال .. لماذا ألعب .. وما هو نوع هذا اللعب .. ثم وقفت العربة أمام بيت كئيب موحش مبنى بالطوب .. وله سور يحيط به من كل جانب . وبوابة مغلقة بالمتاريس ، ونوافذ كبيرة مغلقة بحوائط مبنية بالطوب وتحيط بها قضــبان حديدية .. ودق العم جرس الباب ، فانفتحت احدى النوافذ وجاء منها صوت واضح : ما اسمك ؟



الوصول الى بوابة بيت الآنسة هافيشام

ـ اسمى « بامبلشوك » وجئت لأسلم الصبى « بيب » ··

أغلقت النافذة على الفور ·· وبعد لحظات قليلة ظهرت فى الفناء الخارجى صبية صـــغيرة جميلة ، واتجهت الى البوابة وهى تمسك ببعض المفاتيح ··

كانت الفتاة فى مثل سنى تقريبا ، ولكنها كانت تبدو أكبر من عمرها الحقيقى بسبب تكبرها الشديد والطريقة المتغطرسة التى تحرك بها رأسها وكتفيها·· ودون أن تنظر الى ، قالت لى : ادخل يا « بيب » ·· !

وشرعت على الفور فى غلق البوابة قبل أن يدخل العم « بامبلشوك » فى صحبتى ·· ونظرت اليه الفتاة شذرا وهى تغلق البوابة فى وجهه وقالت له بكثير من التعالى : هل كنت تريد مقابلة الآنسة «هافيشام»··؟!

فقـال العـم وهو يشعر بكثير من الحرج : اذا كانت الآنسة « هافيشام » تريد مقابلتى ··

فقالت الفتـــاة عنـدئذ : آه ·· هى لا تريـد مقابلتك ··



ستلا تغلق البوابة ..

وبعد ان تركت العم وهو يعـــانى من جـرح كرامته ·· عبرنا الفنــاء الداخلى ، ودخلنا الى البيت من بــاب جــانبى لأن البــاب الرئيسى كــان مغلقــا بالسلاسل ·

كان الظلام حالكا بداخل البيت ، ولكن الفتاة أشعلت شمعة كانت موضــوعة على منضــدة قـــرب الباب ·· ثم سحبتنى عبر ممرات كثيرة ·· وصعدت بى سلما ·· وكانت تقول لى بازدراء : هيا ·· لا تتلكا هكذا ياولد ·· !

ووقفنا اخيرا فى مواجهة باب مغلق ، وقـــالت لى الفتاة : هيا ·· أدخل !

فقلت لهـــا بشىء من الخجـــل والأدب : بعدك يا آنستى ·· !

فقالت بحزم : لاتكن سخيفا هكذا ياولد ·· فأنا لن أدخل الآن ··



اغرب سيدة شاهدتها فى حياتى

واخذت الشمعة وانصرفت عائدة ، وتركتنى فى هذا الموقف ، وسط الظلام الدمس . وشعرت بكثير من الرهبة وأنا أطرق الباب .. وسمعت صوتا مبحوحا يدعونى للدخول .. فدخلت ..

وجدت نفسى فى حجرة واسعة مضاءة بالشموع تبدو كما لو كانت حجرة الملابس لاحدى السيدات .. فقد كانت هناك مرآة كبيرة ذات اطار مذهب موضوعة فوق منضدة مغطاة بمفرش .. وكانت هناك ملابس نسائية كثيرة متناثرة هنا وهناك أو موضوعة فى بعض صناديق الملابس ..

وفى وسط هذا كله .. رأيت أغرب سيدة شاهدتها فى حياتى .. كانت ترتدى ملابس العرس البيضاء .. ثوبا من الحرير الأبيض والدانتيلا البيضاء .. وعلى رأسها طرحة طويلة بيضاء أيضا .. وفى قدمها فردة واحدة من حذاء أبيض ، أما الفردة الثانية فكانت موضوعة على منضدة قريبة .. وكانت



الآنسة هافيشام وقلبها الكسير

تلبس فى يدها قفازات بيضاء ٠٠ وتمسك بمنديل أبيض من القماش المخرم ٠٠ وعلى التسريحة كتـــاب للصلوات له غلاف أبيض ٠٠

ورغم انى قــد وصــفت جميع هذه الأشــياء بالبياض ، الا أن لونها فى حقيقة الأمر يميل الى الصفرة بفعل الزمن ٠ كما أن الزمن قد ترك بصماته واضحة على السيدة العجوز التى ترتدى هذه الثياب ٠٠ فمن الواضح أن ثوب العرس الذى كانت ترتديه ، كان معدا من قبل لعروس شابة ، أما الآن فهو يبدو متهدلا فوق جسم متهدل نحيف لا يعدو أن يكون جلدا على عظم ٠٠ هذه اذن ٠٠ الآنسة « هافيشام » ٠٠٠

قالت لى : من أنت ٠٠ ؟

فقلت : أنا « بيب » يا سـيدتى ٠٠ أحضرنى العم « بامبلشوك » لكى ألعب ٠٠

فامرتنى : اقترب منى ٠٠ هل تخاف من سيدة لم تر الشمس منذ مولدك ٠٠

فهززت راسي قائلا : لا ..

رغم أن الحقيقة كانت غير ذلك .. وعندئذ وضعت يدها على الجانب الأيسر من صدرها ، **وسألتني :** هل تعرف ماذا يوجد هنا داخل صدري .. ؟

فقلت على الفور : قلبك يا سيدتي .. فابتسمت ابتسامة غريبة **وقالت في شيء لا يخلو من الاحساس بالفخر :** قلب كسير .. !

ثم أشارت الى لكي أنظر الى الساعة الموضوعة فوق التسريحة ، والى ساعة أخرى معلقة على الحائط.. وكانت عقارب كل من هاتين الساعتين متوقفة عند الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ..

وقالت لي وهي تومىء برأسها ايماءة ذات معنى : أنا تعبانة .. واريد شيئا يسليني .. وعندي ميل شديد لأرى شخصا ما وهو يلعب .. هيا العب .. !

وقفت صامتا دون أن افعل شيئا .. لا أدري ماذا افعل .. ولا كيف ألعب .. واستدارت هي لكي

ترى صورتهـــا المنعكسة على صفحة المرآة · وبعـــد فترة قصيرة التفتت الى **وصاحت بعد أن نفد صبرها** : نادى على« ستلا » ·· انك على الأقل تستطيع أن تفعل ذلك اذا كنت لا تستطيع أن تلعب ·· قلت لك نـادى على « ستلا » ·· !

خرجت من الحجرة الى الممر المظلم ، وناديت على « ستلا » ·· وفى الحال ظهر نور الشمعة التى تحملها « ستلا » قادما نحوى · وما أن دخلت الفتاة الى الحجرة حتى قربتها الآنسة « هافيشام » اليها ·· ثم اخرجت من أحد أدراج التسريحة قطعة مجوهرات علقتها بشعر « ستلا » الكستنائى ·· **وقالت لها وهى تضحك ضحكتها الغريبة** : فى يوم ما ستصبح هـــذه الجوهرة ملكا لك يا عزيزتى ·· ستكسبين بها اعجاب الرجال الذين ستحطمين قلوبهم ·· والآن ·· العبى الورق مع هذا الفتى ·· وسأتفرج عليكما ··

وقالت « ستلا » ساخطة : ألعب مع هذا الفتى؟ ·· انه مجرد عامل صغير من أبناء العوام ·· !



جوهرة على شعر ستلا

فهمست لها الآنسة « هافيشام » : حتى ولو كان كذلك ‥ يمكنك أن تحطمى قلبه ‥ ألا تستطيعين ذلك ؟!

وأطاعتها « ستلا » ‥ وجلسنا على الأرض لنلعب الورق ‥ ولكنى لم استطع أن أركز ذهنى فى اللعب بسبب الملاحظات الكثيرة التى كانت تبديها « ستلا » للآنسة « هافيشام » ‥ كانت تقول باشمئزاز واضح : ان يديه خشنتان ‥ وحذاءه غليظ ‥ انه لا يعرف الاسم الصحيح لورقة «الولد» فى « الكوتشينة » !

لقد تضايقت كثيرا من سوء معاملتى ، ومن كثرة الملاحظات التى أبدتها « ستلا » على تصرفاتى ، وشدة استهزائها بى ‥ وبطبيعة الحال فقد كسبت « ستلا » الجولة ‥

وكانت الآنسة « هافيشام » تجلس هامدة كالجثة وهى تراقب اللعب ‥ وأخيرا انحنت نحوى وقالت لى : ان « ستلا » قالت عنك أشياء كثيرة غير طيبة ‥ وانت لم تقل عنها أى شىء ‥ ما رأيك فيها ‥ اخبرنى ‥!



ستلا تسخر من حلاء بيب

وازاء هذا الاصرار من الآنسة « هافيشام » ‥
اضطررت ان **اهمس فى اذنها قائلا** : « ستلا » فتـــاة
جميلة فخورة بنفسها ‥ ولكنها كثيرة الشتائم ‥
هل يمكنني ان انصرف الآن ‥ ؟!

ولكن الآنسة « هافيشام » لم تسمح بانصرافى
قبل أن اكمل جولـة ثانيـة من اللعب ، ثم أمرتنى
بالانصراف على أن أعود اليها بعد ستة أيام ‥ وامرت
« ستلا » بأن تقدم لى شيئا من الطعام ‥ فقدمت الى
بعض الخبـز وقطعـة من اللحم ‥ بطريقـة جعلتنى
أحس بانها تقدم الطعام الى أحد الكلاب ‥

ومن شدة ما عانيته من آلام الهوان والذل ‥
طفرت الدموع من عينى وسالت على خدى ‥ وعندئذ
لمحت ابتسامة الاستمتاع ترتسم على وجه « ســتلا »
وهى تهز رأسها بازدراء واضح ‥

وعندما عدت الى بيتى ‥ عاملتنى أختى معاملة
حسنة ‥ باعتبارى قد وصلت الى مكان ما فى هــذا
العالم ، وتقدمت ولو خطوة واحدة الى الأمام ‥ ولكنى
فى حقيقة الأمر كنت يائسا ‥



كما لو كانت تطعم كلبا !

لم أكن اعرف من قبل انى من العوام الا بعد أن اشارت « ستلا » الى ذلك ·· ولم أكن أدرى كم كان حذائى غليظا ·· وكم كانت يداى خشنتين ·· وكم كان جهلى لأنى لا أعرف الاسم الصحيح لورقة «الولد» فى الكوتشينه ··

شعرت بالخجل والعــار من كل ذلك ·· وكان اللقاء الذى تم مع « ستلا » الجميلة فى هذا اليوم ·· سببا فى تغيير حياتى كلها ··



غرفة الطعام ببيت الآنسة هافيشام

الفصل الخامس :

أول قبلة فى حياتى ٠٠!

وبعد ستة أيام ٠٠ عدت طائعا لمقابلة الآنسة « هافيشام » ٠٠ ومرة أخرى قادتنى الفتاة المتغطرسة « ستلا » عبر الممر المظلم ٠٠

وكانت الآنسة « هافيشام » جالسة كالمعتاد امام تسريحتها ، واستقبلتنى هذه المرة قائلة : انك لا تجيد اللعب يا فتى ٠٠ هل تحب أن تشتغل اذن ٠٠ ؟!

فاومات براسى موافقا ، واشارت الى بان انتظرها فى حجرة الطعام عبر الصالة ٠٠

وكانت حجرة الطعام مماثلة تماما لحجرة الملابس ٠٠ نفس الستائر المسدلة التى تحجب ضوء



هذه كعكة عرس ٠٠ !

النهار ·· ونفس الرائحة الخانقة للهواء المكتـــوم ·· وكانت عقارب الساعات الموجودة بتلك الحجرة متوقفة ايضا عند الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ··

وكانت قطعة الأثاث الرئيسية الوحيـــدة بتلك الغرفة ، عبارة عن مائدة كبيرة مستطيلة ، مغطـــاة بمفرش قديم يعلوه التراب ·· وتبدو كمـا لو كانت معدة ـ منذ زمن مضى ـ لأحـــد الاحتفالات ·· وفى منتصف المائدة كان يوجد حامل فضى عليه صينيه فضية كبيرة فقدت بريقها ، وفـــوق الصينية كانت توجد كومة صـــفراء اللون من شيء لم استطـع أن أتبينه بسبب الأكوام المتراكمة من خيوط نســيج العنكبوت التى تغطيه وتغطى الصينية والحامل وكل شيء آخر على المائدة ·

وكنت مأخوذا بمشاهدة العـــديد من الفئران وهى تجرى هنا وهناك وفى كافة انحاء الحجرة لدرجة أنى لم اتنبه الى وقع خطوات الآنســـة « هافيشام » وهى تعرج فى طريقها الى الحجرة ، محنية الجســـم ، مستندة على عصاة تساعدها فى المشى ··

وأشارت الآنسة « هافيشام » بعصاها الى الكومة الصفراء التى تغطيها خيوط العنكبوت وقالت : هذه كعكة عرسى .. !

ثم استندت بيدها المرتعشة على كتفى ، وامرتنى قائلة : والآن .. فان كل الشغل المطلوب منك هو أن أستند على كتفك وندور معى حول الغرفة ..

وعلى الفور استندت على كتفى وشرعنا ندور ببطء شديد حول الغرفة مرات ومرات .. وكان هذا هو « الشغل » المطلوب منى ، بالاضافة الى جولة « لعب » بورق الكوتشينه مع « ستلا » تحت مراقبة الآنسة « هافيشام » .. وينتهى الأمر أخيرا بتغذيتى مثل الكلاب ..

واستمر الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية شهور وربما أكثر .. ولكن بمرور الوقت تقدمت قليلا فى اللعب .. ومع ذلك فقد ظلت « ستلا » تقسو على بشدة ، وكانت دائما تجد أى نقص او أية مناسبة لتسخر منى ..

ولكن هـذا النظام اختلف فى مرتين ٠٠ المـره الأولى حدثت حين كانت « ستلا » تقودنى لصـعود السلم ٠٠ فقد شاهدت رجلا فى منتصف درجـات السلم ٠٠ وتوقف الرجل عن النزول وأخذ يتفحصنى ٠٠ **وسأل « ستلا »** : من هذا الفتى ؟

فأجابت « ستلا » بلا عناية ولا اهتمام : مجـرد ولد ٠٠ !

كان الرجـل ضخم الجسم كبير الرأس ، وكان من الصعب على أن استريح لمنظره وهـو ينظـر الى بارتيـاب ، بعينيـه الحادتين تحت حواجبه الثقيلة السوداء ٠٠ **وقال الرجل** : هل هو من الجيران ٠٠ ؟

فأجبت على الفور : نعم يا سيدى ٠٠ أنا «بيب» يا سيدى !

وتأملنى الرجل لحظة ، ثم ازاحنى من طريقه ٠٠ ولهذا فقـد نسيته ونسيت مقابلته ، لأنه حتى تلك اللحظة كان عديم الأهمية بالنسبة لى ٠٠

أما المرة الثانية التى اختلف فيها هذا النظام ، فحدثت حين تركتنا الآنسـة « هافيشام » ـ أنـا



الرجل يسأل ستلا عن بيب

و « ستلا » ـ لكى نلعب الـــورق أكثر من الوقت المعتاد ·· وفى هـــذه المرة تأنيت كثيرا وأنا ارتب اوراق اللعب فكسبت الجولة ·· وأثنت على الآنســـة « هافيشام » ··

ويبدو أن هذا الثناء قد أثر فى نفس « ستلا » ·· لأنهـــا عنـــدما كانت توصلنى الى البوابة ، توقفت واستدارت نحوى **وقالت** : تعـــال ·· يمكنك الآن أن تقبلنى ·· اذا كنت راغبا فى ذلك !

وقدمت الى خدهـــا ·· فقبلته ·· وحتى تلك اللحظة كنت على اســـتعداد أن أضحى بأى شىء فى سبيل قبلة واحدة من « ستلا » ·· ولكنها حتى وهى تمنحنى هذه القبلة ، كانت تتكلم بالطريقة المتغطرسة المتعالية التى كلمتنى بها الآنســـة « هافيشام » حين أثنت على ··

كانت « ستلا » تقلد السيدة العجـــوز فى كل شىء ·· حتى فى طريقة اعطائها « البقشيش » لفتى من العوام مثلى ، استطاع أن يفعـــل شـــيئا يستحق الثناء ··



يمكنك ان تقبلني اذا أردت

وفى يوم ما ، حين كانت الآنسة « هافيشـام » تضع يدها لتستند على كتفى لنقوم بالجولة المعتادة ، **قالت لى** : يبدو أنك تزداد طولا يا « بيب » .. !

ثم سالتنى عما اذا كان زوج أختى الحداد مازال متمسـكا بى لـكى أصبح صبيه بصفة رسـمية .. **فقلت لها** : ان ذلك هو أعز أمنية لصديقى « جو » .. **وهنا قالت لى** : اذن .. فقد حان الوقت لتصبح هذه لأمنية حقيقة .. دعنى أرى الأوراق الرسمية ..

وعلى هذا فقد ذهبت الى مجلس المدينة فى صحبة أختى و « جو » والعم « بامبلشوك » .. وهناك قاموا بتسجيل اسمى رسميا لأصبح صبيا « لجو » ..

وعنـــدما قدمت الأوراق الرسـمية للآنســـة « هافيشام » لتراها كما طلبت من قبل .. وافقت على ذلك وأعطتنى مبلغا عظيما من النقود .. خمســـة وعشرين جنيها ذهبيا .. **وقالت لى** : لقد كنت ولدا لطيفا .. وهذه هى مكافأتك .. ولا تتوقع أكثر من ذلك .. ولا تحضر الى هنا بعد الآن .. لقد أصبح « جو جاجرى » سيدك واستاذك ..



مكافأة من الآنسة هافيشام

وعندما عدت الى البيت ، وشاهدوا المكافاة التى حصلت عليهـــا ، أصبحت أختى أكثر اقتناعا من أى وقت مضى ، بأن الآنسة « هافيشام » مازال لديهـا بعض الخطط الخاصـــة بمستقبلى ·· فوفقهـــا العم « بامباشوك » على هذه الفـــكرة ، وذكرنا جميعا بأنه السبب المباشر فى تقديمى الى الآنســة « هافيشام » ولولاه لمـا تمت هذه المعرفة ·

أما « جو » فقـــد كان فى غاية الســعادة لانى أصبحت صبيه ··

ورغم ان ذلك هو بالضبط ما كنت أسعى اليـه واتمناه فيما مضى ·· الا انى أصبحت الآن غير راغب فى الوقوف أمام فرن الحدادة ·· بل وغير راغب أيضا فى أن أعيش حياتى كحداد ··

كانت معرفتى بالآنسة « هافيشام » و « ستلا » ·· قد غيرت مشاعرى تماما ··



بيب الحزين ..

الفصل السادس

الحزن والخجل ..

ومرت الأيام وأنا أعمل كصبى حداد .. وفى كل يوم كانت كراهيتى تزداد لهذه المهنة .. كان يخيل الى فى بعض الأوقات أن « ستلا » تطل على من فتحة فرن الحدادة .. وترى وجهى ويدى وقد علاهم الهباب الأسود .. وتضحك ملء فمها وهى تحتقرنى وتزدرينى وتسخر منى ..

فكرت مرة فى أن أهرب من هذه المهنة لأعمل فى البحر .. ولكنى خشيت أن أؤذى مشاعر « جو » بهذا الفعل المشين .. او أحطم وهمه بان مهنة الحدادة مهنة



ابنة عم الآنسة هافيشام

طيبة .. ولذلك فقد وطدت نفسى على اخفاء مشاعرى عن « جو » .. كنت تعسا حزينا ولكنى كنت اشعره بأنى فى غاية السعادة ..

وبعد مرور سنة .. اصبحت لا أطيق منع نفسى من رؤية « ستلا » والآنسة « هافيشام » أكثر من ذلك .. وما أن وافق « جو » على اجازتى ليوم واحد ، حتى وجدت نفسى فى الطريق الى بيت الآنسة « هافيشام » .. ومر وقت طويل وأنا واقف أمام لبوابة .. استجمع قواى لأدق الجرس ..

وجاءت امرأة لترى من الطارق .. وقدمت لى نفسها باعتبارها احدى بنات العمومة للآنسة « هافيشام » .. وكنت على يقين أن هذه المرأة تريد أن تطردنى ولا تسمح لى بالدخول ، لولا أنها لا تملك مثل هذا الحق الا بعد أن تأخذ الأوامر من الآنسة « هافيشام » ...

ولحسن الحظ فقد سمحت الآنسة « هافيشام » بدخولى .. وكان كل شىء بالبيت كما هو مثلما تركته



بيب يتوقع اخبارا عن ستلا

آخر مرة ·· **وقالت لى فور استقبالى** : هاه ·· أرجو الا تطلب شيئا لنفسك ·· فلن أعطيك أى شىء بالمرة ··

فاجبت : لا يا آنسة « هافيشام » ·· فقد جئت لاخبرك بأن عملى كصبى حداد يسير على نحو حسن ·· وأنا أشكرك لأنك ساعدتينى على ذلك ··

فقالت : اذا كان الأمر كذلك فهذا شىء طيب ·· وفى استطاعتك أن تحضر لزيارتى بين حين وآخر ·· ويمكنك أن تحضر فى عيد ميلادك القادم ··

وعندما لاحظت أنى انظر حولى باحثا عن شىء ما ·· أدركت ما أفكر فيه ·· وابتسمت ابتسامه ماكرة **وهى تقول** : أراك تبحث عن « ستلا » ·· أليس كذلك ؟

فقلت على الفور : نعم يا سيدتى ·· وأرجو ان تكون بخير ··

فقالت ونفس الابتسامة على فمها : أنها بخير ·· لقد سافرت الى خارج البلاد ·· وهى الآن تتعلم لكى



الهجوم على اخت بيب

تصبح سيدة .. انها الآن أكثر جمــالا من أى وقت مضى .. وتحوز اعجاب كل من يشاهدهـا .. هـل تشعر بانك فقدتها ؟!

واطلقت ضـحكة حقودة وهى تسـألنى هذا السؤال .. ولكنى لمْ أجبها بشىء .. وانتهت المقابلة .. واسرعت بالخروج من الحجرة .. وهبطت درجـات السلم .. وخرجت من البيت .. وسرت فى الطريق عائدا الى بيتى .. ومازالت ضحكتها الحقودة ترن فى أذنى ..

كان ظلام الليل قد حل وأنا اقترب من البيت .. وقد أدهشنى أنى رأيت جميع أنوار البيت وورشـة الحدادة مضاءة .. وعندما اقتربت أكثر ، رأيت عديدا من الناس يتجمعون فى الفنـاء الخارجى .. فبدأت أجرى .. وأفسح الناس لى الطريق عندما شاهدونى ..

وفى المطبخ رأيت مجموعة أخـرى من النـاس متجمعين على شكل حلقة .. وكان « جو » يقف بينهم ومعه طبيب القرية .. وعلى الفور أفسحوا لى مكانا لأرى منه ما يتحلقون حوله ..

كانت أختى راقدة على أرض المطبخ ·· بلا حراك ·· وغائبـــة عن الوعى ·· وتنزف الدماء بغزارة من جرح شديد برأسها ··

ووضع « جو » ذراعه حول كتفى وقال يشرح لى الأمر : والآن يافتى ·· يجب أن نتذرع بالشجاعة ·· لقـــد تسلل شخص شرير الى هـــذا المطبخ وضرب « مسز جو » على راسها ··

وقلت وانا الهث : هل مازالت حية يا «جو» ·؟

وعندئذ أجاب الطبيب : نعم حية ·· ولكن من المحتمل الا تعود الى حالتها الطبيعية ·· !

وقامت الشرطة بتحقيق الحادث ·· وسألت كل فرد فى المنطقة ·· ولكن أحدا لم يشاهد الجريمة حين وقعت ·· وكل ما قيل أن شخصا ما قـــد تسلل الى المطبخ ·· وفاجأ أختى حين كانت تقف أمام الموقد ·· وضربها بشىء ثقيل على مؤخرة رأسها ·· وعلى هـــذا استمر التحقيق لأسابيع طويلة ، دون أن يعرف من الجـانى ··

وكنت أعرف ـ أنا و « جو » ـ أن أختى قد اكتسبت عداوات كثيرة بسبب سلاطة لسانها وحدة طباعها ٠٠ فلم أكن أنا الشخص الوحيد فى هذه القرية الذى تلقى الضربات العنيفة من قبضتها القويـة ٠٠

وكنا نعرف أنها كانت مكروهة تماما من العديد من الناس ٠٠ ولابد أن واحدا منهم هـو الذى ارتكب هذه الجريمة ٠٠ ولكننا لم نذكر عن هذا الموضـوع شيئا ٠٠

ظلت حية ٠٠ ولكنها فقدت ذاكرتها وأصبحت عاجزة تماما عن الكلام ٠٠ وبالتـالى فقـد تغيرت شخصيتها وعاداتها ٠٠ أصبحت هادئة صبورة ٠٠ ولا تطلب شيئا سوى أن تشير بيديها لكى نضعهـا جوار المدفأة ٠٠ تماما مثل قطة عجوز ٠٠

وفى البداية كان « جو » قلقا ومضطربا بسبب الحالة التى آلت اليها زوجته ٠٠ ولكنه بالتدريج ، بدأ يحس بالهدوء والمتعة ٠٠خصوصا بعد أن جاءت «بيدى» لتعيش معنا ٠٠ لكى تخدمنا وتعتنى بنا ٠٠



لقد اصبحت الحياة اكثر هدوءا

كانت « بيدى » فتاة يتيمة من فتيات القرية ، تربطها علاقة قرابة بعيدة « بمستر ووبسل » .. وكانت ذكية بشكل يثير الاعجاب .. وقد تقدمت فى القراءة والكتابة بفضل توجيهاتها وارشاداتها .. أما بالنسبة الى قدرتها على الطبخ فقد كانت طباخة ماهرة. أكلنا ـ أنا و « جو » ـ من صنع يديها ألذ الوجبات التى لم نذق مثلها من قبل مطلقا ..

وكانت تعطف على أختى وتعاملها برقة . ووفرت لنا جميعا كل اسباب الراحة والنظافة .. وأصبح فى استطاعة « جو » ـ لأول مرة فى حياته ـ أن يذهب الى حانة القرية ليتناول كأسا من البيرة ، ويتمتع بحديث طيب مع الرجال الآخرين ..

وبدأت أثق فى « بيدى » لأنها كانت ودودة عطوفة ولها آراء تتصف بالحكمة .. واليها وحدها أفضيت بسرى .. سرى الذى لم أبح به لأحد قبلها .. **قلت لها** : أريد أن اصبح « جنتلمان » يا « بيدى » واترك مهنة الحدادة !



بيب يحكي احلامه الى بيدي

فرفعت عينيها عن القماش الذى كـانت تخيطه وقالت : من أجل « ستلا » ‥ أليس كذلك ؟ ‥ لأنها لا تريدك حدادا ‥ .

وبمنتهى البؤس قلت : نعم ‥

وشعرت بالخجل من نفسى ‥ ومن « ستلا » ‥



مستر جاجرز يظهر بالورشة

الفصل السابع

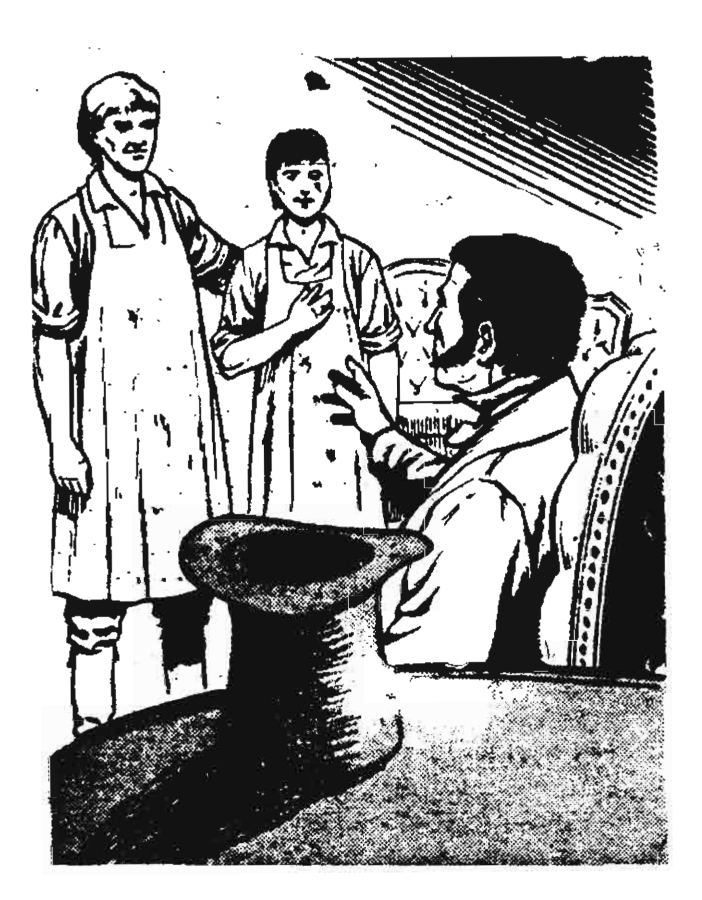
الآمال الكبرى

انقضت نحو أربع سنوات منذ أن عملت صبيا لجو » .. عندما ظهر « مستر جاجزر » أمام باب بيتنا .. لقد تعرفت عليه على الفور .. لقد كان نفس الرجل الذى قابلناه ـ أنا و « ستلا » ـ على درجات السلم ببيت الآنسة « هافيشام » منذ سنوات مضت. نفس الرجل بعينيه الحادة النظرات وحواجبه الكثيفة السوداء ..

قال وكأنه يتمتع بنفوذ عظيم : أعتقد أن هذا هو بيت الحداد « جوزيف جارجرى » وصبيه « بيب » ؟

فقال « جو » : هذا صحيح ياسيدى ..

فقال الرجل بتؤدة وبكثير من الوقار : اسمى «جاجرز» .. وأنا أعمل محاميا فى لندن .. وقد جئت الى هنا بناء على طلب أحد عملائى ..



عرض لتحقيق الآمال الكبرى

تأثر « جو » بالطريقة الفخمة التى كان يتحدث بها الرجل ، فقاده الى حجرة الجلوس ٠٠ حيث سبقتهما الى هنـاك لكى أرفع الاغطية عن المنضدة والكـراسى والأريكة ٠٠

وسحب « مستر جاجرز » الكرسى الى جـــوار المنضدة ، ووجه الى « جو » نظرات صارمة ، **وبدأ يقول:** لقد جئت الى هنا لأعرض عليك أن تتخلى عن « بيب » كصبى لك وهذا من أجل مصلحته ٠٠ فكم تطلب لكى تعفيه من العمل معك ٠٠ ؟

فاجـاب « جـو » بلا تـردد : لا أطلب اى شىء اطلاقا ٠٠ ولا يمكن أن أقف كعقبة فى طريق « بيب » مادام ذلك فى مصلحته ٠

وهنـا التفت « مستر جـاجرز » الى وقـــال : لدى تعليمات بأن أخبرك بأنك ستصل آخيرا الى عالم الثروة والمال ٠٠ ويريد الشخص الذى سيمنحك الثروة ان تتأهل من الآن لكى تصـبح قادرا على ادارتها ٠ ولهذا فان هذا الشخص يريد منك أن تتعلم لكى تصـــبح



مستر جاجرز يقول شروطه

« جنتلمان » لديه آمال كبرى فى مستقبـــل مزهر بالثراء ..

وفاض بى احساس عظيم بالسعادة والفرح فها هو حلمى يتحقــق أخيرا .. وهــا هى الآنسـة « هافيشام » تحول خيالى العارم الى حقيقة واقعة ..

وواصـــل « مستر جاجـرز » حديثـه قائلا :

والآن يا « مستر بيب » .. هناك بعض الشروط لا بد أن تعرفها .. أولا : فان هذا الشخص يريد منك أن تتمسك دائما باسم « بيب » .. ثانيا : ان اسم هذا الشخص المتبرع لك يجب أن يظل سرا الى أن يعلنه هو بنفسه وقتما يريد .. واذا كنت قد خمنت اسم هذا الشخص وعرفته ، فيجب ان تحتفظ بذلك لنفسك وتلزم الصمت .. فهل هذا واضح ومفهوم .. !؟

فأومأت برأسى موافقا ..

- وهل قبلت هذه الشروط .. !؟

فأومأت برأسى مرة أخرى،وأكدت «لمسترجاجرز» أن هذه الشروط واضحة تماما ومفهومة وسألتزم بها وأطيعها ..

وصمت « مستر جاجرز » فترة ٠٠ لعله كان يريد ان يهيئنا لسماع كلماته الأخيرة بقدر من الاهتمام ٠٠ ونهض قائلا : أما بالنسبة للاجراءات والاستعدادات ٠٠ فقد قلت لك ان أمامك آمالا كبرى في مستقبل مزدهر، أما الآن ٠٠ فقد خصص لك مبلغ كبير من المال ٠٠ مبلغ يكفي وزيادة لمصـــاريف تعليمـــك ونفقـــات معيشـــتك ٠٠ وســاحتفظ بهـــذا المبلغ ليكون تحت تصرفك ، وللصرف منـــه عليك أولا بأول ٠٠ لذلك فيجب ان تعتبرني وصيا عليك ٠٠

وعندما حاولت أن أشــكره ، اشار الى بيديه : كلا كلا ٠٠ شكرا لك ٠٠ فأنا قد حصلت على أجــر كبير نظير هذه الخدمات ٠٠ والآن ٠٠ أرجو أن تستمع جيدا الى المقترحات التالية : عليك بالحضور الى لندن فورا بعد أن تشترى بعض الملابس المناسبة ٠٠ وهناك سوف تسكن مع « هربرت بوكيت » وهو «جنتلمان» صغير في مثل سنك ٠٠ ولعلك تستطيع أن تتعلم منه بعض العادات والتقاليد الحسنة ٠٠ كما أنى أقترحت أن يكون أبوه معلما خاصا لك ٠٠ فما رأيك في كل هذا ٠٠ ؟!

فقلت مندفعا : كل ما تقوله يا « مستر جاجرز » ساقبله .. ولقد سمعت عن عائلة « بوكيت » من قبل .. انهم ينتمون بصلة القربى الى الآنسة « هافيشام » ..

ولم تتأثر ملامح « مستر جاجرز » باى شىء عند سماع اسم الآنسة « هافيشام » وبدا وجهه كما لو كان قد نحت من الحجر .. وقال : نعم .. انهم يمتون بصلة القربى اليها .. والآن .. اليك بعض النقود الخاصة بشراء الملابس ومصاريف الرحلة ..

وقدم لى عشرين جنيها من الذهب .. وترك بطاقة صغيرة تحمل اسمه وعنوانه فى لندن .. وودعنا .. وخرج ..

وظللنا ـ أنا و « جو » ـ جالسين على الأريكة صامتين مشدوهين كما لو كنا قد أصبحنا تمثالين من الحجر .. الى أن جاءت « بيدى » .. فأفاق « جو » من دهشته ، وأخذ يقص عليها حكاية الحظ السعيد والثروة التى هبطت على من السماء .. ثم اندفع



جاجرز يعطى النقود وبطاقة عنوانه

« جو » بعد ذلك نحو المطبخ ليحاول افهام أختى هذه الحكاية ..

وهنأتنى « بيدى » بحرارة وصدق ، وقالت لى بهدوء : هاهو حلمك الأكبر قد تحقق .. فهل ياترى ستتحقق أحلامك الأخرى .. ؟!

كنت أعلم أنها تشير بذلك الى حبى «لستلا» .. ولكنى كنت أعلم فى نفس الوقت أن « بيدى » تعتبر « ستلا » فتاة مغرورة لاتستحق هذا الحب .. لذلك لم أجد شيئا أقوله سوى أن اومأت برأسى قائلا : من يدرى .. ؟!

أما أختى فقد أصبحت الآن غير قادرة على الفهم والادراك .. ورغم ما بذلناه من جهــــد فى الشرح ، الا أننا لم ننجح فى افهامها حقيقة ما حدث .. رغم أنها ابتسمت مسرورة بما لاحظته من زيادة الاهتمام بها على هذا النحو المفاجىء .

وفى صباح اليـــوم التالى ، استيقظت مبكرا وأسرعت بالذهاب الى دكان « مستر تراب » خيـاط القرية .. ولكن صبيه أخبرنى بأنه مازال يتنــاول



تحقق احد احلامك يا بيب !

طعـــام افطـــاره بشقته التى تقع خلف الدكان ٠٠ واضطررت الى الانتظـــار فترة أوشك ان ينفد فيها صبرى ٠٠ الى أن دعانى الخياط أخيرا لمقابلتـــه فى شقته ٠٠ كان لايظن أن سبب مجيئى يستأهل التوقف عن تناول افطاره ٠٠ ولذلك فقد وقفت أمامه دون أن يهتم بدعوتى الى الجلوس أو مشاركته فى طعامه ٠٠

وأخرجت من جيبى بعض الجنيهات الذهبيـة وقلت له : « مستر تراب » ٠٠ لقد وصلتنى بعض النقود ٠٠ وأريد منك خدمة عاجلة ٠٠

وفى لمح البصر ، توقف الخيـاط عن تنـاول الطعام ، ومسح أصابعه وهب واقفا واتسعت عينـاه من شدة الدهشة ٠٠ وشرحت له الأمر : ان على أن أتوجـه الى لندن بصـفة عاجلة ٠٠ وأريد منـك أن تصنع لى حلة على « المودة » الحديثة لأرتديها فى تلك الرحلة ٠٠

ودعانى الخيـاط فورا الى دكانه وبدأ يمارس عمله بهمة ونشاط ٠٠ وأمر صبيه بانزال مجموعة من أثواب القماش المرصوصـة على الرفوف واحدا بعد



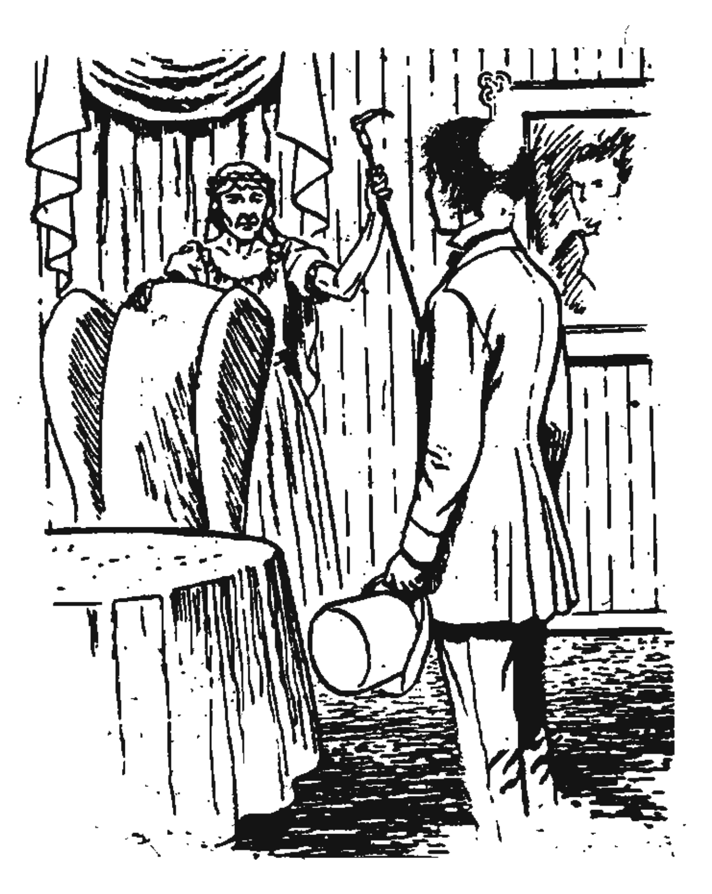
اختيار القماش لحلة جديدة

الآخـر ٠٠ وأخذ يفـرد لى هذه الأثواب ليفرجنى على الأقمشة حتى اختار من بينها ما يناسبنى ٠٠ ورغم أنه قد أثنى عليها جميعا ، الا أنه ساعدنى فى اختيار النوع واللون المناسب لشاب مثلى ٠٠ ثم أخذ مقاييس جسمى وأكد لى أن تناسب هذه المقاييس سيساعد فى تفصيل حلة ممتازة ٠

ثم قام بعد ذلك بتوصـيلى الى خارج الدكان ، وفتح لى الباب بنفسه وودعنى بحفاوة بالغة ٠٠ وكانت هذه هى تجربتى الأولى فى معرفة مدى التأثير العظيم للنقود فى نفوس الناس ٠٠ !

وما أن انتهى الخياط من صناعة الحلة ، حتى ارتديتها على الفور ، وأخذت طريقى الى بيت الآنسة «هافيشام» لأودعها ٠٠ ولكنها قالت لى انها عرفت حكاية الحظ السعيد والثروة التى جاءتنى عن طريق « مستر جاجرز » ٠٠ وتمنت لى النجاح والتوفيق ٠٠ ثم أشارت الى بعصاها لكى انصرف ٠٠

كنت أريد أن اشكرها على كل ذلك ٠٠ ولكنى تذكرت الشروط التى أملاها على « مستر جاجرز »



بيب يودع الآنسة هافيشام

بعدم الكشف عن اسم المحسن الذى تبرع لى بكل هذه الثروة حتى وان كنت أعرفه ·· فلزمت الصمت وأنا أسمع آخر الكلمات التى **قالتها الآنسة** « **هافيشام** » : وداعا يا « بيب » ·· وعليك أن تحتفظ دائما باسم « بيب » ·· كما تعرف ··

وكلما اقترب موعد رحيلى ، أزداد « جو » كآبة وحزنا ·· وقال لى بتأثر شديد : هل حقا سأفتقدك يا « بيب » ·· افتقد الصبى المطيع الذى كان يساعدنى فى أعمال الورشة ·· افتقد الصديق العزيز الذى أحببته منذ أن كان طفلا ·· ما أسعد الليالى التى كنا نجلس فيها معا أمام المدفأة ·· !

ونزلت من عينى الدموع ·· لأن شغفى بالسفر الى لندن ·· واحساسى بأن آمالى وأمنياتى الكبرى فى سبيلها الى أن تصبح حقيقة واقعة ·· وهذه الحالة الطارئة التى غيرت مجرى حياتى ·· كل ذلك قد جعلنى أوشك أن أنسى أعز أصدقائى ·· « جو » ··



بيب يصل الى لندن

الفصل الثامن

حياتى الجديدة

سافرت الى لندن راكبا عربة تجرها أربعة جياد قطعت المسافة فى نحو خمس ساعات · وكنت أشعر بالرهبة حيال هذه المدينة الكبيرة ، الا أنى صدمت حين رأيتها مدينة غير نظيفة ، ملأى بشوارع ضيقة متعرجة قبيحة الشكل ··

وذهبت مباشرة الى مكتب « مستر جاجرز » ·· حيث أخبرنى بقيمة الحصة المخصصة لى من المال ·· وهى مبلغ كبير أكثر مما كنت أتوقعه ·· كما أعطانى مجموعة من البطاقات المالية التى أستطيع أن أتعامل



بيب ووميك يصلان الى خان بارنارد

بها مع الحياطين وأصحاب المحلات الأخرى التى اشترى منها حاجياتى على الحساب ، وعلى أن ترسل الفواتير الى مكتب « مستر جاجرز » ليقوم بدفعهـا وتسـوية حساباتها .. ورضيت تماما بتلك الطريقة التى تسهل أمور حياتى ، كما تساعد « مستر جاجرز » فى مراقبة نفقاتى ..

ونادى « مستر جاجرز » على كاتبه «مستر وميك» ليقوم بتوصيلى الى الحجرات المخصصـــة لاقامتى مع الشاب الصغير « هربرت بوكيت » .

كان « مستر وميك » رجلا قصيرا ونحيفا .. تتألق عيناه بنظرة حادة .. وقادنى الرجل الى مبنى كبير يسمى « خان بارنارد » وهو عبارة عن مجموعة من المبانى يتوسطها حوش كبير .. ودخلنا من البوابة ، ثم اتجهنا الى أحد تلك المبانى ، وصعدنا درجات السلم الى حجرات الطابـق العلوى .. ولكننا وجدنا على الباب ورقة معلقة مكتوب عليها : « ساحضر حالا » .. ولأن الباب كان غـير مغلق ، لذلك فقد دلفنـا الى الداخل ..



هربرت بوكيت يرحب بـبيب

وعندئذ قال لى « مستر وميك » : أعتقد انك لست فى حاجة الى الآن ·· وعلى أن انصرف ·· واعتقد أننا سنتقابل بعد ذلك بين حين وآخر لأنى أشرف على الحسابات المالية الخاصة بمكتب « مستر جاجرز » ··

وشكرته كثيرا قبل أن ينصرف ·· وأخذت أفحص تلك الحجرات المخصصة لسكنى باعتبارها البيت الجديد الذى سأعيش فيه حياتى فى لندن ·· كانت الحجرات كبيرة وتبدو أوسع مما هى عليه فعلا ، وذلك بسبب قلة ما فيها من قطع الأثاث ·· كما كانت تبدو غير نظيفة بدرجة كافية ، وان كان هذا أمرا محتملا باعتبارها مسكونة بشخص أعزب ··

وبعد نحو عشرين دقيقة ، سمعت وقع خطوات بالصالة ·· وظهر شاب صغير يافع ، يحمل فى يده صندوقا صغيرا به كمية من ثمار الفراولة ·· ابتسم الشاب ابتســامة مرحبة وهو يلتقط انفاسه **وقال :**
« مستر بيب » ·· ؟!

فابتســـمت مرحبـــا وقلت : نعم يا « مستر بوكيت » ··

واعتذر لى قائلا : آسف لتاخرى ٠٠ فقد كنت لا أعرف الموعد الحقيقى لوصول العربة الى لندن ٠٠ ورأيت من الأفضل أن اقدم لك مع غدائك بعض الفواكه الطازجة ٠٠ لذلك فقد خرجت لاشتريها ٠٠

وكان هذا اللقـاء أول دليل على أن « هربرت » شخص طيب وعطوف ٠٠ وبدأنا الحديث دون أن يتيح أمامى فرصة لأشكره ٠٠ بينما استمر هو فى التحدث عن ترتيب حياتنا معا ٠٠

وفى مطعم بالمبنى المجاور كنا نتناول وجباتنا ، وبترتيب سابـــق مع « مستر جاجرز » كنت اقوم بالتوقيع على فواتير الحساب الخاصة بنا معا ٠٠ فقد كان « هربرت » فقيرا رغم أنه « جنتلمان » حقيقى ٠٠

وقد اعترف لى « هربرت » بفقره بطريقة صريحة ومهذبة جعلتنى احبه أكثر وأكثر فى كل دقيقة تمر منذ لقائنا ٠٠ وكان يتقاضى دخلا متواضعا من البنك الذى يعمل فيـه ٠٠ وهو دخل يكفى بالكاد للوفـاء بالمصاريف النثرية ٠٠

وأحضر الخادم لنا غداء شهيا يتكون من دجاج محمر وزبد وجبن وخبز .. وربما بدا لى مثل هذ الغداء أحسن مما هو عليه فعلا .. على الأقل لاحساسى بأنى قد أصبحت الآن مستقلا .. وفى لندن !

ولا أدرى ان كان « هربرت » يعرف قصتى عن طريق « مستر جاجرز » أو عن طريق الآنسة « هافيشام » التى تمت اليه بصلة القربى .. ولكنى رأيت أن أحكيها له بنفسى .. ولذلك فقد استغرقت ساعة كاملة حكيت له فيها كل التفاصيل .. وعندما انتهيت ، طلبت منه أن يصحح لى عاداتى وتصرفاتى وأن يرشدنى الى طريقة الحياة اللندنية .. !

وطال علينا الوقت ومازلنا جالسين الى المائدة نتناول طعامنا ونتحدث .. ثم بدأ « هربرت » يحكى لى قصة حياة الآنسة « هافيشام » .. قائلا : لقد ماتت أمها حينما كانت طفلة صغيرة .. وقد أهملها أبوها .. ولكنها ورثت عنه ثروة طائلة .. على فكرة يا «بيب» .. ليس من المعتاد هنا فى لندن أن تضع السكين فى فمك



هربرت يصحح عادات بيب

أثناء تناول الطعام ·· فالشوكة هى المخصصة لهذا الغرض ·· هذه ملاحظة بسيطة ··

قال هـــذه الملاحظة برقة شـــديدة وبلطف لم يغضبنى ، بل على العكس فقد شكرته على تنبيهى الى ذلك ··

وأكمل « هربرت » القصة التى كان يرويها **فقال :** وقعت الآنسة « هافيشام » فى حب رجل أنيق كان أبى لا يثق فيه أبدا ·· ولكنها أعطته مبالغ كبيرة من النقود أثنـــاء فترة خطبتهما ·· وفى اليـــوم المحدد للزفاف ·· أرسل هذا الرجل رسالة يتنصل فيها من هذا الزواج ·· وقد استلمت الآنسة « هافيشام » هذه الرسالة الساعة ····

فقاطعته على الفور : فى الســـاعة التاســـعة الا عشرين دقيقة بينما كانت ترتدى ملابس الزفاف ··

وقال « هربرت » : بالضـــــبط ·· فقد أوقفت عقارب جميع الساعات الموجودة ببيتها عند هذا الوقت ، وأمرت بعدم المساس بأى شىء من ترتيبات الحفل منذ



هربرت يحكي قصة الآنسة هافيشام

تلك اللحظة حتى يومنا هذا ·· ملاحظة صغيرة يا عزيزى « بيب » لا داعى وأنت تشرب بقية ما فى كأسك ، أن تميل الكأس على فمك بهذه الطريقة التى جعلت حافة الكأس العليا تمس أنفك ··

وبسرعة أنزلت الكأس ، وشكرته على هذا التصحيح ·· وسألته : ولكن لماذا لم يتزوج هذا الرجل من الآنسة « هافيشام » ويسيطر بالتالى على كل أموالها ·· ؟!

فقال : لا يدرى أحد ·· ولكننا نعتقد أنه كان متزوجا بالفعل ·· وهذا يؤكد أنه كان مخادعا طول الوقت ·· وأن حبه للآنسة « هافيشام » كان زائفا ··

فهززت رأسى آسفا وأنا أقول : مسكينة يا آنسة « هافيشام » ! ·· وأقول فى سرى : مسكينة أيتها المحسنة الكريمة ·· !!



مقابلة مستر بوكيت وَاثنين من الطلبة

الفصل التاسع

زائر من الريف ••

وفى اليوم التالى ، حصل « هربرت » على أجازة من عمله ، لكى يصحبنى الى بيت والده ويقدمنى اليه •• ومنذ اللحظة الأولى ، أحببت معلمى •• كان ذا شعر رمادى ووجه ملىء بحيوية الشباب تعلوه ابتسامة طبيعية •• وكان يشبه « هربرت » الى حد كبير ••

وأفهمنى المعلم أنى سأتلقى دروسى مع زميلين هما : « ستارتوب » الصديق الطيب •• و « بنتلى درامل » الذى تبادلت معه الكراهية من أول نظرة •• وقد علمت فيما بعد أن « درامل » يتبادل هذه الكراهية

مع معظم الناس لأنه كان يعتبر نفسه فوق الآخرين وأعلى من أن يتبادل الصداقة مع الناس العاديين ٠٠ كان ينتمي الى الطبقة الأرستقراطية ولكن أخلاقه وطباعه كانت فظة ٠٠

ولقد قلت لصديقي : « هربرت » فيما بعد أن « درامل » هذا يذكرني بعنكبوت كبير وأنه يثير التقزز مثل هذا العنكبوت ٠٠

وبدأ معلمي « مستر بوكيت » على الفور في شرح الدروس التي سأتلقاها ، وذكر الأماكن والمعالم الهامة في لندن التي يجب أن أزورها ٠

وفي يوم ما ، بينما كنت جالسا بمسكني في « خان بارنارد » ٠٠ رأيت أن من الأفضل أن أغير أثاث جميع الحجرات وأعيد تجميلها ، وأن يكون ذلك مفاجأة طيبة « لهربرت » ٠٠ يجب أن أغير السجاجيد والستائر وقطع الأثاث الأخرى ٠٠

وعندما أبلغت « مستر جاجرز » بتلك الرغبة ، ضحك وهو يقول : كنت على يقين بأنك لن تستغرق

وقتا طويلا لكى تستوعب جمال الحياة فى المدينة ..
كم تريد من المال لكى تنفذ رغبتك .. ؟!

وبينما كنت أخمن المبلغ التقريبى الذى يكفى لعمل هذه التجديدات ، دخلت مديرة المنزل الخاص « بمستر جاجرز » لتقدم وجبة ساخنة من الطعام .. كانت امرأة طويلة فى حوالى الأربعين ولها عينان واسعتان خابيتا النظرات .. وعلى الفور ، لاحظت أنها غير طبيعية .. وأن تصرفاتها وطريقة عملها تتسم بشىء من الذلة .. رغم أن الطعام الذى قدمته كان لذيذا وطيبا ..

وعندما حددت المبلغ التقريبى الذى أطلبه .. نادى « مستر جاجرز » على « مستر وميك » وأمره بأن يصرف لى هذا المبلغ فورا ..

لقد سر « هربرت » كثيرا بالتجديدات التى حدثت بالمسكن ، وظل طيلة اسبوع بأكمله يشد على يدى كل يوم مهنئا اياى على المنظر الجميل الفخم الذى أصبحت عليه الشقة ..



خادمة جاجرز تقدم طعام الغداء

وما أن انتهى تجميل الشقة على هذا النحو ، حتى أخبرونى بأن هنـــاك زائرا ينتظرنى ٠٠ زائر لا يستطيع التمييز بين سجاجيدى الشرقية المفروشة على أرض الشقة ، وبين البساط الكالح القبيح المفروش بغرفة الجلوس بمنزل أختى ٠٠

كانت « بيدى » قد كتبت الى رسالة تخبرنى بأن « جو » يرغب فى الحضور الى لندن لزيارتى ٠٠ وكتبت لها ردا أحدد فيه الموعد المناسب لهذه الزيارة ٠٠ وفى حقيقة الأمر كنت لا أريد لهذه الزيارة أن تتم ٠٠ بل وكنت على استعداد لدفع أى مبلغ من النقود لمنع هذه الزيارة من الحدوث ٠٠ ولكن كيف كان يمكن ابـــلاغ « جو » بكل ذلك ٠٠ كيف كان يمكن ابلاغه بأنى لم أعد « بيب » الذى كان يعرفه ٠٠ ؟!

وفى اليوم الموعود ٠٠ سمعت وقع خطواته وهو يصعد السلم ٠ وعند وصل أمام الباب الخارجى ظل يمسح قدميه فى الممسحة الموضوعة بعتبة الباب حتى كاد أن يبليها ٠٠ وأخيرا دخل ٠٠ وأمسك بيدى الاثنتين وأخذ يرفعهما الى أعلى يخفضهما الى أسفل كما



بيب يشتري أثاثا جديدا

لو كان يجرب نوعا جديدا من طلمبات المياه ..

وحاولت أن آخذ منه قبعته لأعلقها في المكان المناسب ، وقد لاحظت أنها قبعة جديدة .. ولكنه تمسك بها وكأنها أثمن شيء يمتلكه .. وظل يدور بنظرات عينيه متفحصا كل شيء .. وينظر في اعجاب الى « الروب » الذى ارتديه ، والى قماشه الفخم الملون باشكال الزهور .. ولكنه لم يتكلم كثيرا .. وامسك لسانه وظل صامتا ..

وسررت عندما وصل « هربرت » أخيرا .. وتبعه الخادم الذى يحمل لنا الطعام .. وقبل أن يجلس « جو » الى المائدة ، تخلى عن قبعته ، ووضعها بعناية فوق الرف الرخامى باعلى المدفأة . حيث سقطت عدة مرات الى الأرض . وكان يعيدها الى الرف فى كل مرة .

وساله « هربرت » فى أدب : « مستر جارجرى » .. هل تريد شايا أم قهوة .. ؟!

فاجاب « جو » : شكرا لك يا سيدى .. اريد اى شيء تختاره بنفسك .. !



حضر جـو للزيـارة

ـ اذن ‥ ساصب لك بعض القهوة ‥

فظهرت ملامح عدم الارتيــــاح على وجــه « جو » وقال : شكرا يا سيدى ‥ مادمت قد اخترت القهوة فلن استطيع ان اعارضك فى ذلك ‥ ولكن ألا ترى انها تزيد الانسان انفعالا ‥ ؟!

فقال « هربرت » وهو يصب له بعض الشاى :

ـ فليكن الشاى اذن ‥ !

وهنا سقطت قبعة « جــو » من فــوق الرف . فالتقطها وأعادها الى نفس المكان ‥ وقد لاحظت أنه كان كثير السرحان حين كان يتناول طعامه ‥ وانه جلس على مسافة بعيدة من المائدة لدرجة انه أسقط كمية من الطعام أكثر من الكمية التى أكلها ‥

وعندما انصرف « هربرت » شعرت بكثير من السعادة والارتيــاح ‥ لأننــا أصبحنا وحدنا ‥ انا و « جو » الذى كان يشعر بشىء من القلق وعدم الارتياح والحرج ‥ ربما لأنه أحس بما يدور بنفسى حيال هذه الزيارة ‥



عادات جو تضايق بيب

ومع ذلك فقد بدأ « جو » حديثه قائلا : والآن ·· أصبحنا وحدنا يا سيدى ···

فقاطعته على الفور وصحت غاضبا : من فضلك يا « جو » ·· كيف تنادينى بياسيدى ·· ؟!

فأخفض عينيه ونظر الى الأرض وهو يقول : لقد أخطأت بالمجئ الى هنا يا « بيب » ·· ان ملابسى غير لائقة ·· أنا أنتمى الى ورشة الحدادة والفرن والمستنقعات ·· انا اعترف بانه كان تصرفا يتسم بالغباء ·· عندما جئت لزيارتك هنا ·· ولكنى أرجوك عندما تريد رؤية صديقك القديم « جو » ·· فتعال الى الورشة ·· وأدخل رأسك فى فرن الحدادة كما كنت تفعل من قبل ·· والآن ·· وداعا يا عزيزى « بيب » ·· وبارك الله فيك ·· بارك الله فيك ·· !

ولعدة أسابيع تالية ·· ظللت أشعر بالخجل من نفسى بسبب ما حدث فى زيارة « جو » ·· وقد ازداد هذا الاحساس عندما وصلتنى رسالة تخبرنى بموت أختى ·· رغم أن خبر موتها جعلنى أحس بشئ من الراحة ··



انبـاء طيبة من ستـلا

ومرت عدة سنوات الى أن بلغت سن العشرين ..
وفى يوم ما ، وصلتنى أخبار طيبة .. اخبار من الماضى .. فقد أنبانى « مستر جاجرز » بان « ستلا » قد عادت أخيرا من فرنسا .. وأنها تنوى أن تعيش فى لندن .. وانها تدعونى لمقابلتها ..

يالها من أخبار عظيمة .. !



بيب فى قمة السـعادة

الفصل العاشر

ستلا ..!

فاضت نفسى بأحاسيس الفرح وقمة السعادة .. فهأنذا سأرى « ستلا » وأقابلها مرة أخرى بعد كل هذه الغيبة .. وانطلقت أغنى .. وأضحك .. مسرورا بكل شىء فى الدنيا ..

وكنت اتصور أن « هربرت » سيفرح بسعادتى الغامرة .. واعترفت له وأنا أشعر بشىء من الخجل بأنى أحب « ستلا » واعتبرها أغلى أمنية فى حياتى ..!

وكنت أعتقد أنى أفضى اليه بأحد أسرارى الهامة، ولكنه تقبل اعترافى كأمر واقع معروف ، **وقال :** اعرف ذلك !

واندهشت .. **وقلت له متلعثما :** ولكن كيف .. كيف عرفت ذلك .. ؟

فاجاب ببساطة : كان مكتوبا فى عينيك وانت تحكى لى عن طفولتك ·· وزياراتك لمنزل الآنســة « هافيشام » ··

وشعرت باحساس غامر من السعادة والارتياح وانا أحكى قصة حبى لصديقى « هربرت » وأبدى له اعجابى الشديد « بستلا » وجمالها الرائع الأخاذ ·· وباحساسى الدفين داخل نفسى بانى قد لا أستحق حبها ·· رغم أن فكرة زواجى بها تعتبر أعظم آمل فى حياتى ··

وكنت أظن فى قرارة نفسى ، أن الآنسة « هافيشام » كانت تخطط لزواجى من « ستلا » ·· والا ·· لماذا جعلت منى « جنتلمان » ·· ووهبتنى كل هذه الثروة ·· ؟!

ووافقنى « هربرت » فى هذا الاستنتاج وقال انه هو وكل اقارب الآنسة « هافيشام » يظنون أن الأمر كذلك ·· ولكنى شعرت بعدم الارتياح باديا فى نظرات عينيه ، خصوصا عندما قال : الآن يا عزيزى « بيب » ·· أريد أن اقول لك شيئا لا يسرك ··

ولكننى قبل أن أنطلق بكلمة ·· أريد أولا أن أعترف لك بأنى أعيش ايضا قصة حب ·· وحبيبتى اسمها « كلارا بارلى » ·· وسأرتب لك لقاء معها لكى تراها بنفسك ·· وانى أقول هذا حتى لا تظن أن لدى أى أمل أو رغبة فى الزواج من « ستلا » ··

وبطبيعة الحال فان هذا التصور لم يدر بذهنى أبدا ·· لذلك فقد تركت « هربرت » ليواصل حديثه قائلا : عندما كان « مستر جاجرز » يملى عليك الشروط الخاصة بآمالك الكبرى ·· هل ذكر ضمن هذه الشروط أن زواجك من « ستلا » أمر واجب وضرورى ·· ؟!

فأومأت براسى : لا ·· طبعا ··

ـ اذن فأنت غير مقيد بضرورة الزواج منها ·· وأنا أطلب منك ـ بمنتهى الاصرار ـ أن تتخلى عن حبها ·· !

فتساءلت وأنا أشعر باضطراب شديد من هول المفاجأة : ولكن ·· لماذا ·· لماذا يا « هربرت » ·· ؟



هربرت يعترف بحبه لكلارا

فقال بهدوء : تذكر طريقة تربيتها ونشأتها ‥
تذكر أن الآنسة « هافيشام » قد جعلتها تتشبع بأفكارها ومشاعرها ‥ تذكر كيف كانت « ستلا » متعجرفة وباردة القلب ‥ تذكر انها تكاد أن تكون صورة طبق الأصل من الآنسة « هافيشام » ‥ !

أحسست وكأنى على وشك الانهيار ‥ وقلت والدموع تنهمر من عينى : ولكنى لا استطيع أن أتخلى عن حبها أبدا ‥ انى اعبدها ‥ !

وفى الحقيقة كنت أقدر مشاعر « هربرت » نحوى ‥ ومع أن أوصافه لشخصية « ستلا » قد ضايقتنى ‥ الا انها ظلت عالقة بذهنى وكامنة فى نفسى لمدة طويلة ‥

وكنت فى ذلك الوقت قد بلغت الحادية والعشرين من عمرى ‥ بلغت سن الرشد ‥ فأعطانى « مستر جاجرز » حرية التصرف فى أموالى ‥ كما سمح لى بان أحصل على قروض محدودة ‥ وخصص لى مبلغ خمسمائة جنيه سنويا ، كما منحنى خمسمائة جنيه أخرى كهدية من المحسن الكريم الذى يرعانى بمناسبة بلوغى سن الرشد ٠



هربرت يحذر بيب من ستلا

وبطريقة سرية ساعدني فيها « مستر وميك » استخدمت حوالى نصف هذه المبالغ فى شراء وظيفة « لهربرت » فى احدى الشركات الملاحية التى أنشئت حديثا ·· وهى شركة يمتلكها شاب ذكى أمين اسمه « كلاريكار » كان فى حاجة الى مساعد نشيط بشرط أن يساهم فى الشركة بجزء من رأس المال ··

وتعاقدت مع « مستر كلاريكار » على أن تكون هذه الوظيفة من حق « هربرت » ·· وقدمت اليه جزءا من رأس المال ·· كما التزمت بأن أقدم حصة أخرى من رأس المال فى الوقت المناسب حتى يصبح « هربرت » شريكا كاملا فى هذه الشركة ··

وكان « هربرت » فى غاية السعادة وهو يخبرنى بأمر تلك « الفرصة » الذهبية التى عرضها عليه « مستر كلاريكار » ·· وقد اعتبرت سعادته هذه خير مكافأة لى على هذا الصنيع الجميل ·· وحرصت دائما على اخفاء هذا الأمر عن « هربرت » حتى لا يعرف من هو « المحسن » الذى وضعه فى هذا المركز ·· وكان هربرت يزداد سعادة فى كل يوم يقضيه فى عمله الجديد ··



هربرت يحصل على الوظيفة

وفي ذلك الوقت كانت « ستلا » قد بدأت حياتها الجديدة في لندن ، وأخذت تتمتع بكل دقيقة فيها ؛ وكانت الآنسة « هافيشام » قد رتبت أمر اقامتها مع سيدة أرملة من سيدات المجتمع لها ابنة شابة في عمر « ستلا » .. وكانت لهذه الاسرة صلات عديدة في المجتمعات الراقية .. ولهذا كانت « ستلا » تدعوني دائما لمرافقتها الى حفلات الرقص التي تدعى اليها ، ومصاحبتها في جولات الشراء التي تقوم بها .

كان من المفترض أن أصبح سعيدا بكل ذلك .. ولكنني لم أحس أبدا بطعم هذه السعادة .. لأن « ستلا » كانت تعاملني كأخ نصف شقيق لها .. أو كأني أعمل سكرتيرا في خدمتها .. ورغم أن الكثيرين من الشباب المعجبين بها كانوا يحسدونني على ذلك الا أني لم أجد في ذلك أية سعادة أو متعة ..

وفي احدى الأمسيات سألتني : « بيب » .. هل يا ترى تصدق ما يقال لك من ضرورة الحذر مني ؟ ..

فسألتها بالتالي : هل تقصدين تحذيري من الانجذاب اليك يا « ستلا » .. ؟



بيب يرافق ستلا في الحفلات

فاجابت : اذا كنت لا تعرف حقيقة ما أقصده فلا شك فى أنك أعمى لا ترى

ورغم بقينى بأن الحب أعمى ·· فقد كنت أبرد دائما فى الاعتراف لها بحبى ·· وكنت على يقين بأنها نطيع الآنسة « هافيشام » طاعة عمياء ·· لذلك فقد سئمت أن أظل هكذا عبثا عليها ·· وازدادت بالتالى أسباب تعاستى ··

وفى نفس الأمسية ·· أمرتنى « ستلا » بأن استعد لمرافقتها فى زيارة الآنسة « هافيشام » التى أرسلت لها دعوة بالحضور لمقابلتها ·· وقالت لى « ستلا » انها لا تحب أن تسافر وحدها ···

وبعد أن تناولنا الطعام على مائدة الآنسة « هافيشام » ·· جلسنا جميعا جوار المدفأة ·· وطول الوقت لم تستطع الآنسة « هافيشام » أن ترفع عينيها عن التأمل فى وجه « ستلا » ·· وطلبت منها بشغف أن تحكى لها بنفسها قصص ضحاياها من المعجبين الذين أخضعتهم ·· وعلمت أن « ستلا » كانت تكتب لها



يا صاحبة القلب البارد

قصص هؤلاء الضحايا أولا باول ٠٠ لأنى لاحظت أن الآنسة « هافيشام » كانت تعرف أسماء كل المعجبين الذين أخضعتهم « ستلا » ثم نبذتهم واحتقرتهم ٠٠

وعندما رأيت عينى الآنسة « هافيشام » وهما تبرقان من أثر الاستمتاع الشرير بسماع هذه الحكايات ٠٠ تأكدت أنها تنتقم الآن من الرجال وتأخذ بثأرها من الرجل الذى تخلى عنها فى يوم عرسها ٠٠ !

وجذبت الآنسة « هافيشام » يد « ستلا » وقربتها منها ٠٠ ولكن « ستلا » جذبت يدها فى ضيق بطريقة أغضبت الآنسة « هافيشام » التى صاحت باكية : « ستلا » ٠٠ هل تعبت منى ٠٠ ؟!

فأجابت « ستلا » بهدوء تام : لقد تعبت من نفسى ٠٠ !

فصرخت فيها المرأة العجوز وهى تهز عصاها : ما انت الا تمثال من حجر لا قلب له ٠٠ !

فردت « ستلا » بنفس الهدوء : أنت التى علمتينى أن اصبح بلا قلب ٠٠



لقد حذرتينى من الوقوع فى الحب

فبكت الآنسة « هافيشام » وهى تقول :
نعم تصبحين بلا قلب ·· ولكن ليس ضـدى أنا ··
بل ضد الرجال فقط ·· يجب ان تبادلينى ما اشعره
نحوك من حب ·· !

وعندئذ هزت « ستلا » رأسها وهى تقول فى
اسى : يا أسى بالتبنى ·· انى مدينة لك بكل شىء ··
وسأفعل كل ما تطلبين ·· ولكنى لا أستطيع أن افعل
المستحيل ·· لقد علمتينى كيف أجعـل قلبى باردا
كالحجر ·· علمتينى كيف لا أحب أحدا ·· ولقد وعيت
دروسك جيدا ·· !

ولم أستطع مشاهدة بقية هذا المشهد الغريب ··
فتركت الحجرة وخرجت الى الحديقة ·· ومع ذلك فقد
كانت توسلات الآنسة « هافيشام » الذليلة تصل الى
سمعى ···



كمبيالات وفواتير وديون .. !

الفصل الحادى عشر

اكتشاف شخصية «المحسن»

انقضت عدة شهور بعد انتهاء الاحتفال بعيد ميلادى الحادى والعشرين .. وأحسست بأنى قد أصبحت عاجزا تماما عن حل المشكلة التى صنعتها بنفسى .. كنت أرغب فى التحرر من ديونى والاعتماد فقط على مبلغ الخمسمائة جنيه التى يهبها لى « المحسن الكريم » فى كل سنة ..

والحقيقة ان ديونى كانت كبيرة وكثيرة فبالاضافة الى التزامى بدفع المبلغ الكبير الخاص بالعقد الذى اتفقت عليه لصالح « هربرت » .. كانت على ديون أخرى



بيب يسمع خطوات على السلم

للخياط ولبائع المشروبات وللجواهرجى ولكثيرين غيرهم ..

والأمل الوحيد الذى كان يراودنى للتخلص من هذه المشكله ، هو أن يقوم « المحسن » الذى يرعانى باهدائى مبلغا اضافيا فى كل عيد من أعياد ميلادى .. وبهذه الطريقة وحدها ، أتمكن من تسديد ديونى ، والاستمرار فى الحياة الرغدة التى أحياها ..

وعندما بلغت سن الثالثه والعشرين ، أصبحت أضحك ساخرا من « بيب » الذى كان يظن عندما وصل الى سن الحادية والعشرين ، أن مبلغ الخمسمائة جنيه سنويا كان يعتبر ثروة طائلة .. ولم أفكر مطلقا فى « بيب » الذى كان يعيش فى مقاطعه « كنت » ويظن ان مهنة الحدادة التى يمارسها هى أفضل وظيفة فى هذا العالم ..

لقد توقفت عن تلقى الدروس .. ولكنى واصلت القراءة والاطلاع لعدة ساعات يوميا .. وفى احدى الليالى هبت عاصفة باردة شديدة منعتنى من الخروج ، ولزمت البيت واستغرقت فى القراءة ..



وصـــل رجل غريب ..

كنت وحدى ·· لان « هربرت » كان قد سافر فى مأمورية تخص عمله بالشركة الملاحية ·· ودقت ساعة « كاتدرائية سان بول » القريبة الحادية عشرة قبل منتصف الليـل ، فقطعت حبـل استغراقى فى القراءة ، ثم تنبهت فجأة الى وقع أقدام تروح ويغدو فى الممر الخارجى أمام الباب ·· ونظرا لأن الريـح الشديدة قد أطفأت كل المصابيح واللمبات التى تضىء السلم والممر ، فقد حملت مصباح القراءة وفتحت الباب لأتبين الأمر ·· وما أن سطع ضـوء المصباح فى ظلام الممر ،حتى توقفت الخطوات ·· فصحت قائلا : من هناك ·· وماذا تريد ·· ؟ !

فجاءنى صوت رجل أخذت أتبين ملامحه بالتدريج فى ضوء المصباح : أنا هنا يا سيدى ·· أبحث عن « مستر بيب » ·· !

وما أن رآنى هذا الرجل الغريب ، حتى تهللت أسارير وجهه وبدا عليه السرور ·· كان يرتدى ثيابا جديدة ولكنها خالية من الذوق ·· وكان ذا شعر رمادى طويل ·· ويبلغ نحو الستين من عمره ، الا أن جسمه

كان يبدو قويا مفتول العضلات ٠٠ وعندما أصبح قريبا منى مد الى يديه اللتين لوحتهما الشمس ٠٠ ولم أدر ماذا أفعل ٠٠ الا انى قلت بكثير من الثبات : أنا « بيب » ٠٠ ماذا تريد منى ٠٠ ؟

وصمت الرجل الغريب برهة ٠٠ وكأنه كان يتوقع أن أدعوه الى الدخول ٠٠ وتردد وهو يقول : آه ٠٠ اريد ان أشرح لك بعض الأمور ٠٠

فاضطررت الى دعوته للدخول بطريقة جافة ٠٠ وكنت مندهشا من فيض الاحساس بالسعادة الذى غمر هذا الرجل الغريب بمجرد أن رآنى وعرف من أنا ٠٠ وما أن وصلنا الى غرفة الجلوس حتى ابتسم الرجل الغريب ابتسامة راضية مطمئنة ومد الى يديه مرة أخرى ٠٠ حتى ظننته مجنونا ٠٠ لذلك فلم أمد اليه يدى ٠٠ فشعر الرجل بالاحراج وتلعثموهو يقول: آه لقد فهمت ٠٠ وانت غير مخطىء فى هذا على الاطلاق ٠٠ ولكن ارجو الا تشعرنى باليأس بعد أن قطعت رحلة طويلة حتى أراك والقاك ٠٠

وخلع الرجل قبعته ومعطفه ، وجلس على مقعد

جوار المدفأة ، ومد يديه الى النار ليدفئهما ٠٠ **ونظر الى** **قائلا :** الا يوجد أحد هنا غيرنا ٠٠ ؟

فقلت بغضب : بأى حق تسألنى هذا السؤال ٠٠ وما انت الا رجل غريب لا أعرفه ٠٠ اقتحـم بيتى فى هذا الوقت المتأخر من الليل ٠٠ !

فهز الرجل رأسه مبتسما **وقال :** أنت رجـل شجاع يا « بيب » ٠٠ أنا مسرور لأنك قد أصبحت شجاعا الى هذا الحد ٠٠

وفى لمح البصر ، سطعت بذهنى فكرة كالبرق ٠٠ لقد عرفت الرجل ٠٠ انه السجين الهارب الذى قابلته بين المقابر فى ساحة الكنيسة التى تطل على مستنقعات « كنت » ٠٠ !!

وعندما شعر الرجل انى قد عرفته ، مد الى يده مرة أخرى ٠٠ فمددت اليه يدى مستسلما هذه المرة ٠٠ وفى الحال رفع الرجل يدى الى فمه وأخذ يقبلهما معبرا عن الاعتراف بالجميل ٠٠ **وقال :** لقد كنت نبيلا وكريما معى يا بنى ٠٠ وسأظل أذكر أبدا « بيب » النبيل



اذكر دائما بيب النبيل ..

الكريم الذى قابلته يوما ما فى الماضى البعيد .. !

وعندما أوشك أن يحتضننى ، وضعت يدى على صدره ودفعته بعيدا عنى .. وقلت له بحزم : اذا كنت قد جئت الآن لتشكرنى بعد هذه المدة الطويلة.. فان ذلك غير ضرورى ولا أهمية له .. واذا كنت قد ساعدتك وأنا طفل صغير ، فلعلك قد اخترت لنفسك طريقا صالحا وحياة أفضل من حياتك السابقة .. وعلى أية حال .. فأنا لا أستطيع أن أوفر لك الآن أية حماية .. !

صمت الرجل طويلا .. وأخذ يدور بعينيه فى انحاء الغرفة ، الى أن استقرت نظراته على زجاجات الشراب المرصوصة على رف جانبى .. **وعندئذ قلت له** : لا بأس فى أن تتناول كأسا من الشراب ليدفئك قبل أن تنصرف .. !

وجلس الرجل على المقعد مرة ثانية **وقال** : شكرا لك .. أريد كأسا من الويسكى .. !

وصببت له كأسا .. وصببت لنفسى كأسا



لقد حققت نجاحا كبيرا

آخر ·· **وقلت له بلا اهتمام** : هاه ·· كيف كنت تعيش **فى** كل تلك السنوات الماضية ·· ؟

فقال بهدوء : لقد عشت حيـــاة ناجحة فى « نيوساوث ويلز » فى « استراليا » ·· وامتلك الآن مزرعة وقطعانا من الغنم ·· ولكن هل لى أن أسألك بدورى عن مجرى حياتك منذ أن تقابلنا ونحن نرتعش من البرد فى مستنقعات « كنت » ··

واضطررت مكرها أن أعطيه ملخصا وجيزا عن مجرى حياتى ·· وبعد أن انتهيت من ذلك **قال الرجل بهدوء** : أستطيع أن أخمن مقدار دخلك منذ أن بلغت سن الرشد ·· انه مبلغ يقدر بخمسمائة جنيه سنويا ·· أليس كذلك ·· ؟

كان يوجه نظرات ثابتـــة نحـــو عينى ·· ورغم صوته الهادىء ·· كنت أحس أن كلمـــاته تـــدوى كالصرخات داخل كيانى ·· وأخذت ارتعد ··

وقال الرجل مواصلا حديثه : واستطيع أن أخمن أيضا أنك تحصل على هذا الدخل من خلال رجل يعمل



لقد جعلت منك « جنتلمان » ..

بالوساطة .. رجل يبدأ اسمه بحرف « ج » .. أليس كذلك .. ؟

ولم أستطع الكلام .. وشعرت كأنى سأختنق .. واستندت على طرف المائدة .. وواصل الرجل حديثه : فى الواقع ان اسم الرجل الواسطة هو « جاجرز » .. واسم كاتبه هو « وميك » .. أليس كذلك .. ؟

وأخذت رأسى تلف وتدور .. وكدت أتهاوى وأنا أحاول الجلوس على الأريكة .. وساعدنى الرجل على الجلوس وركع على احدى ركبتيه أمامى وهو يقول : نعم يا « بيب » .. يا بنى العزيز .. لقد جعلت منك « جنتلمان » حقيقيا .. أنا الذى فعلت كل هذا من أجلك .. وعندما بدأت أكسب الملاليم ، أقسمت أن يذهب كل ما أكسبه اليك .. ثم عندما بدأت أكسب الجنيهات .. أقسمت مرة أخرى أن أحرم نفسى من لذائذ الحياة لأوفر لك ما يساعدك على أن تستمتع بحياة رغدة ..

وبدأت ارتعد خوفا منه .. كما لو كان قد تحول

الى وحش مفترس .. ولكنه واصل حديثه بنفس الهدوء والفرح : انك أعز على من ابن حقيقى يا«بيب»·· وكم من الليالى التى كنت أقضيها مفكرا فيك فى وحدتى البعيدة ·· وعندما كنت أتناول طعامى فى تلك العزلة بعد الانتهاء من عملى فى رعى الغنم ·· كنت أتخيل وجهك الصغير عندما كنت طفلا ·· وانت تنظر الى عندما كنت أتناول الطعام والشراب الذى أحضرته الى فى المستنقعات ·· ولذلك أقسمت مرة أخرى على ان اجعل منك « جنتلمان » ·· وهاأنذا قد نجحت فى ذلك ··

واخذ ينظر بفرح الى السجاجيد الشرقية ·· والى اللوحات الجميلة المعلقة على الحوائط ·· والى ملابسى الأنيقة ·· والى جوهرة الياقوت فى خاتم أصبعى ·· والى الكتب المرصوصة على الرفوف ··

ولم أنطق بكلمة واحدة ·· ربما لأنى كنت عاجزا عن الكلام ·· وواصل الرجل حديثه : لقد حققت بعض النجاح والشهرة فى « نيوساوث ويلز باستراليا » ·· رغم أن بعض الناس كانوا يعايروننى بالماضى حين كنت

سجينا ·· ولكنى لم أكن أهتم بذلك ·· كنت على يقين بانى املك « جنتلمان » عظيما مثلك ·· اعظم وارقى من اى واحد فيهم ·· وكنت احتمل كل شىء ، على امل واحد ، هو استطاعتى أن أعود فى يوم ما لكى اراك واقابلك لاعرفك بنفسى ·· !

وسط كل احساسه بالزهو والفخر وهو يقول هذا الكلام ·· لم يلحظ الرجل مدى الاحساس بالرهبه الذى أخذ يعصف بنفسى ·· ولا مدى البؤس والسقاء الذى كان يمزق قلبى وأنا أنصـت الى حديثـه ·· واخيرا سألنى وهو يتثاءب : والآن يا بنى العزيز ·· أين يمكننى أن أنام ·· بعد أن قمت بتلك الرحلة الطويلة التى تحيطها المخاطر ·· ؟

واستعدت صـوتى وقدرتى على الكـلام وقلت مستسلما : يمكنك أن تنام على سرير زميلى الغائب ·· ولكن ماذا تقصد بالضبط بكلمة « مخاطر » ·· ؟!

فقال بهدوء وبساطة : ان السلطات ستنفذ فى حكم الاعدام شنقا ·· لو اكتشفت أنى قد عدت الى لندن ·· !!



وتبددت الأحلام فى لهيب المدفأة

وعلى الفور أسدلت جميع الستائر ، وادخلته الى حجرة « هربرت » وأنا أشفق عليه لمجازفته الجريئة واستعداده للتضحية بحياته لكى يرانى ·· واشفق أيضا على نفسى ·· لأنى لم أستطع ان أشعر نحوه بأى قدر من التعاطف ··

وقبل أن أغادر الغرفة سألته : وهل قمت وحدك بهذه المجازفة أم ساعدك فيها شخص آخر ·· ؟

فقال مندهشا : لا يا بنى العزيز ·· لقد قمت بها وحدى ·· !

وهكذا تبددت جميع أحلامى وتصوراتى السابقة فى حكايتى مع « ستلا » ·· وهكذا تبين لى أن خطة الآنسة « هافيشام » لزواجى من « ستلا » كانت وهما مفجعا وأكذوبة كبرى أقنعت بها نفسى دون أساس ·· وهكذا تيقنت من حقيقة مركزى بالنسبة « لستلا » ·· لم أكن أكثر من مرافق مفيد لها ·· تلعب بعواطفى بقسوة تعلمتها من المرأة العجوز ··

وظللت أتأمل النار الخابية فى المدفأة ، حتى ظهر نور الصباح ·· وأنا أشعر بمنتهى البؤس وخيبة الأمل ··



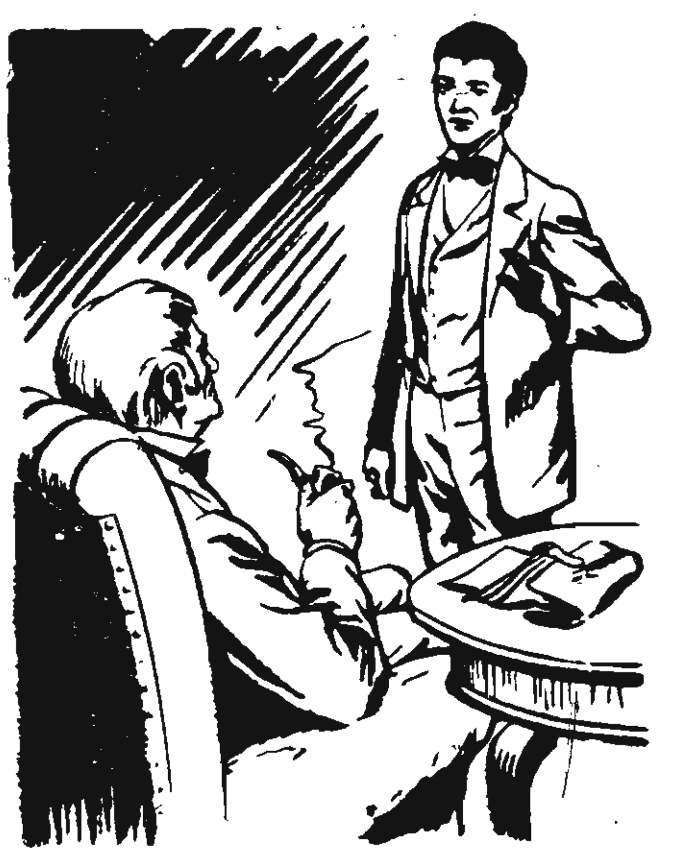
بيب يتظاهر بأن خاله يزوره

الفصل الثاني عشر

مساعدة آبيل ماجويتش

« آبيل ماجويتش » هو اسم السجين الهارب ٠٠ المحسن الذى تبرع لى بكل هذه الأموال ٠٠ وكان قد تعرف على « مستر جاجرز » المحامى حين كان هذا الأخير يتولى الدفاع عنه فى قضيته ٠٠ وقد بذل « مستر جاجرز » جهده فى الدفاع عنه حتى انقذ عنقه من حبل المشنقة بشرط واحد هو أن يهاجر من انجلترا الى الأبد ويعيش فى « نيو ساوث ويلز باستراليا » بقية حياته ٠

ولكن عودته الى انجلترا خلقت الكثير من المشاكل ٠٠ وقد رأيت أن أحل هذه المشاكل واحدة وراء الأخرى ٠٠ بادئا باخطار صاحبة « خان بارنارد » بأن هذا الرجل هو خالى وقد حل ضيفا على لعدة



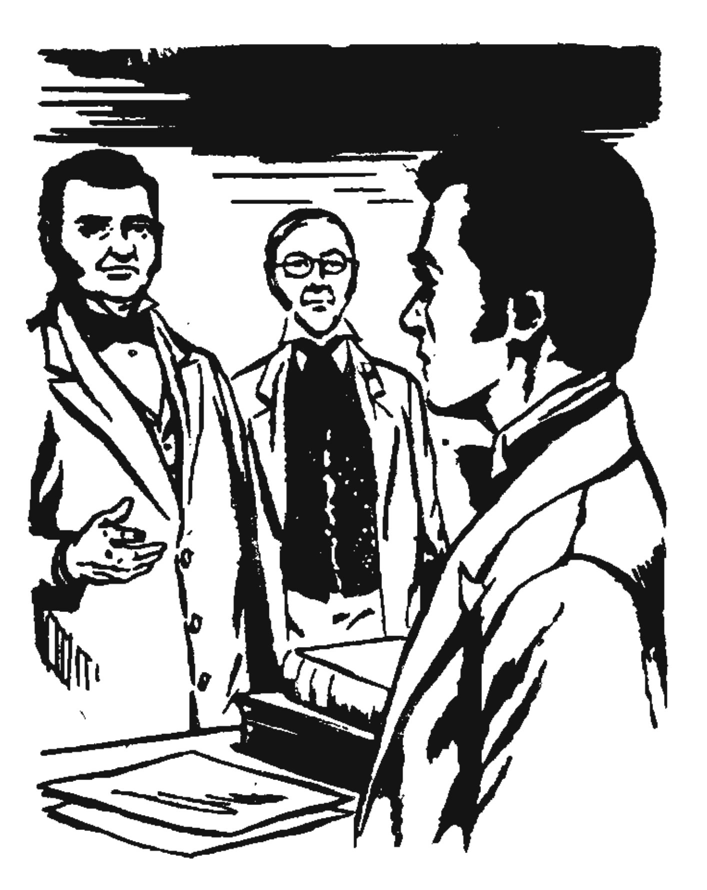
ماجويتش يصر على اعطاء النقود لبيب

أيام ·· أما بالنسبة لقرب عودة « هربرت » من رحلته ، فقد كان من اللازم أن أبحث عن سكن آخر مناسب لاختفاء « ماجويتش » ··

وفى صباح اليوم التالى ، تناول فى افطاره كمية كبيرة من الطعام باستمتاع واضح ، ثم جلس على الأريكة وأشعل غليونه بعد أن حشاه بطباق أسود كريه الرائحة ·· وبعد أن دخن بضعة أنفاس قال بارتياح : « بيب » ·· لابد أن تشترى لنفسك عربة وخيولا تجرها ، وأن تستأجر سائقا خاصا يقودها لك ··

وأخرج من جيوب معطفه حافظة جلدية كبيرة منتفخة بالنقود ووضعها أمامى على المائدة وهو يقول : اليك بهذه النقود كلها ·· وهناك نقود كثيرة غيرها ·· ولك أن تنفقها فيما تراه وكيفما تهوى ·· ان قمة سرورى أن أراك تنفق « أموالك » بالطريقة التى تعجبك « كجنتلمان » ··

فرفعت يدى معترضا لأسكته ·· وقلت : ليس هذا هو ما يجب أن نتحدث فيه الآن ·· ان علينا أولا



جاجرز يؤكد قصة ماجويتش

أن ندبر طريقة تجعلك آمنا طوال فترة بقائك هنا ‥ ولكن أريد أن أعرف أولا موعد رحيلك ‥ !

فنظر الى مندهشا وقال : لماذا يا بنى العزيز ‥ لقد جئت لأبقى بصفة مستمرة ‥ سأتنكر وأصبغ شعرى وأضع على عينى نظارة طبية وأرتدى ملابس أنيقة ‥ وبهذه الطريقة لن يتعرف على أحد ‥ !

واقترحت عليه أن يتنكر فى ملابس مزارع من الريف ‥ لأن هذا المظهر يناسب لون بشرته التى لوحتها الشمس ‥ فوافق ‥

ولكن قبل أن أذهب لأشترى هـذه الملابس ، عرجت على مكتب « مستر جاجرز » الذى ما أن رآنى حتى تبادل النظرات مع كاتبه « مستر وميك » ‥ ثم هب واقفا وحذرنى قائلا : قل ما تريد بدون ذكر أسماء ‥ !

ففهمت ما يقصده ‥ وسألته : حاضر يا « مستر جاجرز » ‥ لقد جاءنى زائر من « نيو ساوث ويلز باستراليا » ‥ وهو يقول أنه « المحسن » الذى وهبنى كل هذه النقود ‥ فهل هذا صحيح ‥ ؟!

فأجاب : هذا صحيح بالفعل ..

فقلت يائسا : لقد كنت أظن دائما أن الآنسة « هافيشام » هي التي تحسن الي وترعاني .. وقد شجعتني أنت على هذا الظن الخاطيء ..

فاعترض « جاجرز » قائلا : لا .. لم أشجعك أبدا على ذلك .. وربما كانت الآنسة « هافيشام » تشجعك على تصور هذه الفكرة الخيالية كنوع من التسلية ترضى بها عقلها المريض ..

الآن فقط تيقنت دون أدنى شك من أن « آبيل ماجويتش » هو نفسه المحسن الذى كان يهبني المال .. فأسرعت الى البيت ، واستأجرت له سكنا مجاورا لسكنى .. واشتريت له بعض ملابس المزارعين ليتنكر فيها ..

وفى تلك الليلة .. نام على مقعده وهو فى كامل ملابسه الجديدة .. وأخذت أنظر اليه وأنا مضطرب القلب مشتت الذهن .. وخيل الى أن أفضل حل لهذه المشكلة أن أجرى خارجا من الغرفة .. ومن البيت .. ومن لندن .. بل ومن انجلترا كلها ..

ولكن لم يكن أمامى سوى أن انتظر عودة صديقى « هربرت » من رحلته لنتدبر الأمر سويا وينصحنى بما أفعل ..

ولكن « ماجويتش » لم يسمح لى بأن أفشى سره لصديقى « هربرت » قبل أن يراه ويتأكد بنفسه انه محل ثقة .. وبالفعل فلم تمض نحو خمس دقائق على حضور « هربرت » حتى أومأ لى « ماجويتش » برأسه موافقا .. ولكنه أحضر نسخة قديمة من الكتاب المقدس ، وطلب من « هربرت » أن يقسم على ألا يبوح لأحد بأى من الأسرار التى سوف يسمعها ..

وبعد أن عرف « هربرت » كل شىء .. خرج « ماجويتش » الى سكنه المجاور .. وبقيت أنا و « هربرت » .. وظللنا نتحدث الى ما بعد منتصف الليل .. وشرحت لصديقى كل المشاعر التى تعتمل فى قلبى ، وكل الأفكار التى تدور فى ذهنى .. الى أن انتهيت الى اتخاذ قرار حاسم : لن آخذ من « ماجويتش » مليما واحدا بعد الآن .. حتى بالرغم



هربرت يقسم على حفظ السر

من أنى غارق فى الديون ·· وحبس ن مثل نعيش منه ·· سأرفض نقوده لأنها مملوكة لشخص مجرم ··

فهز « هربرت » رأسه معترضا وقال : أنا أفهم وأقدر حقيقة مشاعرك يا « بيب » ·· ولكنك ان فعلت ذلك فسوف تدمره تدميرا ·· لقد عاش حياته كلها من أجلك ·· وجمع أمواله كلها من أجلك ·· وانى أعتقد أنه على استعداد أن يضحى بحياته ويسلم نفسه للسلطات اذا رفضت أن تشترى العربة والخيول ··

وفرت الدمـــوع من عينى وقلت منفعـلا : لا يا « هربرت » ·· لن تستمر علاقتى به ·· ولن أنفق نقوده بعد الآن ·· كل ما أريده وأتمناه هو أن يرحل عنى ·· !

وهنا قال « هربرت » : اذا كنت لا ترغب فى تحمل مسئولية القبض عليـه واعدامه ·· فلابد أن تقنعه وتحثه على مغادرة انجلترا ··

قلت يائسا : لن نقبل ذلك ··

فقال « هربرت » : اذن ·· فلا بد أن تســافر معه ·· !



ستلا تعلن خطة زواجها

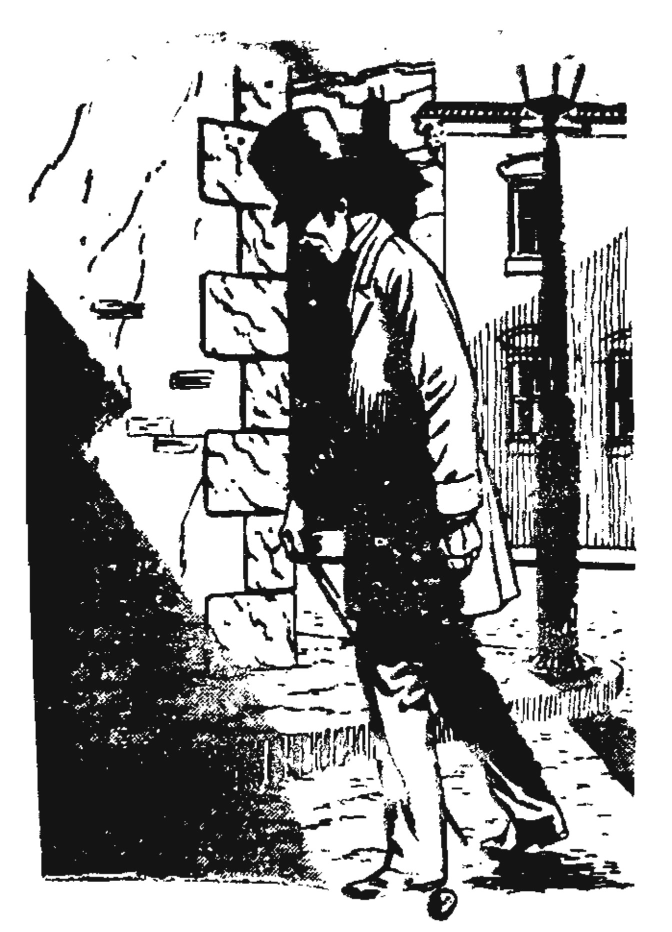
فشعرت بالصدمة عندما فوجئت بهـذا الرأى ··
ولكن « هربرت » **واصل حديثه :** نعم ·· سافر معه الى الخارج ·· وهناك تتركه فى أى بلد آمن ·· وتعود الى انجلترا ·· وسأدبر لك وظيفة لتعمل معى فى شركة « كلاريكار » ··

ورأيت أن هذا هو الحل الأمثل ··

وبينما كنت أدبر هذه الترتيبات كلها ، **وصلتنى** دعوة من « ستلا » للحضور اليها ·· **وقالت بمنتهى البرود :** أنا فى طريقى الى الزواج فى أقرب فرصة ·· وانى أحذرك ·· وانت تعرف ما أقصده ·· !

وعندما عرفت أن عريسها هو « بنتلى درامل » ·· العنكبوت الكريه الذى يثير اشمئزازى ·· اعترضت على هذا الاختيار بكل قوة ··

ولكن « ستلا » هزت كتفيها باستخفاف **وقالت دون أدنى تقدير لاعتراضى :** انها صفقة جيدة ·· فهو غنى واسع الثراء ·· وأنا قررت أن أتزوجه ·· !



بيب يتجول يائسا

الفصل الثالث عشر

القاتلة ٠٠!

بعد أن انتهى هذا الحديث المؤلم مع « ستلا » ٠٠ أخذت أتجول بلا هدف فى شوارع لندن ٠٠ شقيا تعيسا يمزق اليأس قلبى ٠٠

وبالرغم من أن حالتى المالية لم تعد تسمح لى بمواصلة التفكير فى احتمال زواجى من « ستلا » ٠٠ الا أن احساسى بالمرارة قد فاق كل احتمال لأن اختيارها قد وقع على « درامل » ذلك العنكبوت الكريه بالذات ٠٠ وحتى عندما قالت لى « ستلا » وهى تبتسم لى ابتسامتها الساخرة : « اياك أن تظن أنى سأجعل منه زوجا سعيدا ٠٠ ! » فان هذا القول لم يسعدنى أو يواسينى ٠٠



وميك لديه اخبار هامة

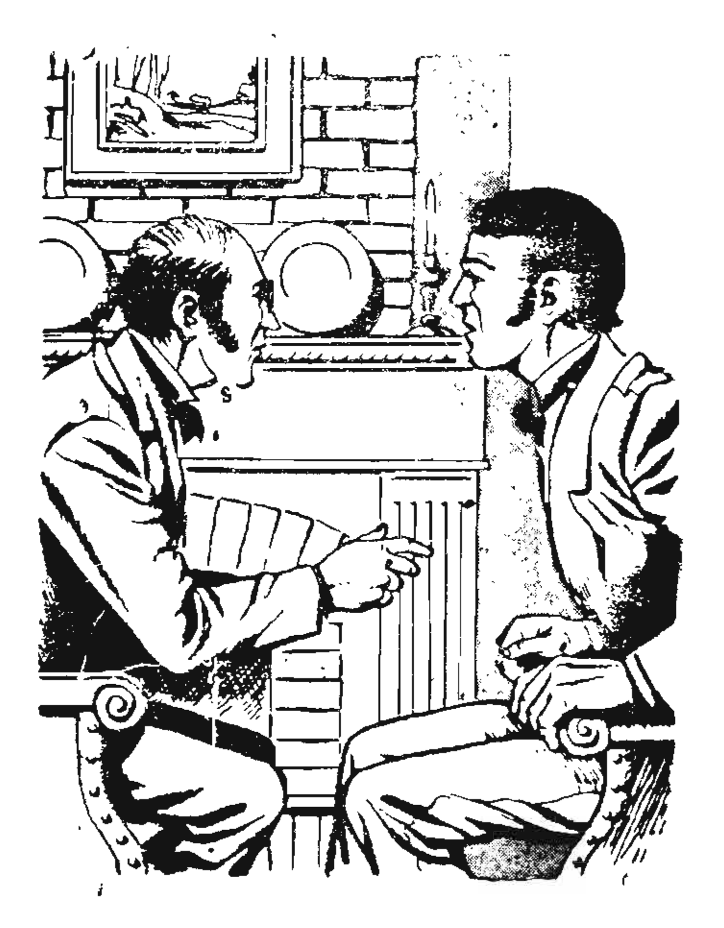
وعدت الى بيتى فى وقت متأخر ·· وما أن فتحت الباب ·· حتى فوجئت بشخص غريب يهب واقفا من المقعد المجاور للمدفأة ·· كان يبدو كما لو كان قد أفاق من اعفـــاءة النوم ·· وفى لحظة ، تبينت أنه « مستر وميك » الذى سرعان ما وضع اصبعه أمام شفتيه طالبا منى أن ألزم الصمت ·· وأشار الى أن أقترب منه ··

قال هامسا : معذرة يا « مستر بيب » لهذه المفاجأة لقد أعطانى « مستر هربرت » المفتاح لانتظرك هنا ·· لأقول لك بعض الأخبار الهامة ·· ولكن بدون ذكر أسماء ·· كما تعرف !

أسرعت نبضات قلبى ، **وسألت هامسا :** هل حدث مكروه ·· ؟!

فقال « **وميك** » **:** نعم ·· و ·· لا ·· !

فخلعت قبعتى ومعطفى على الفور ، وجلست بجوار « وميك » الذى بدأ حديثه بصوت خفيض : لعلك لاحظت أن « مستر جاجرز » المحامى له زبائن وعملاء



بيب يعلن خوفه على ماجويتش

من مختلف أنواع الناس ·· ولكن أغلبهم ليسوا من الطبقات الرفيعة ·· وبطبيعة الحال ، فان شخصا مثله تأتيه أخبار لا أستطيع أنا أو أنت الحصول عليها ·· لأن أغلبها يدور فى المجتمعات الوضيعة أو يتردد بين أصدقائه من المجرمين ··

أوشكت أن أعترض على هذا التعليق ·· ولكنى آثرت الصمت لاستمع الى بقية الحديث ·· **وواصل « وميك » كلامه :** واحد من هؤلاء الناس الذين يترددون على المجتمعات الوضيعة ، سمع اشاعة معينة قام بابلاغها الى « مستر جاجرز » ·· اشاعة ينشرها شخص اسمه « كومبايسون » ·· مفادها أن فى لندن الآن زائرا جاء من « نيو ساوث ويلز » ·· ومن المتوقع أن يصل هذا الخبر الى السلطات فى أية لحظة ··

شحب لون وجهى على الفور ، وشعرت بقشعريرة لبرد رغم قربى من نار المدفأة ·· **وقلت وأنا أكاد أبكى:** لا يمكن ·· لا يمكن أن يقبض عليه ·· لا بد من عمل أى شىء ·· !



ويميك يحذر بيب

وقال « **وميك** » : هذا صحيح ‥ لذلك فقد اتفقنا ـ أنا و « مستر جاجرز » ـ على أن أقوم أنا و « مستر هربرت » بنقل هذا الزائر من سكنه المجاور ، الى سكن آخـر فى بيت يطل على النهر ‥ وقد تصور « مسـتر جاجرز » انك ربما تكون موضـوعا تحت المراقبة ‥ أو أن شخصا ما قد يتتبع خطواتك حتى يمكنهم التعرف على مكان هذا الزائر ‥ ولذلك فقد تم نقل الزائر فى غيبتك ‥ وهذا أفضل ‥ ولكن ‥ لا بد من اتخاذ بعض الترتيبات الأخرى ‥

فقلت : اعرف ذلك ‥ لا بد من نقله الى خارج لندن ‥ لقد فكرت فى ذلك ‥ بل وسأسافر معه الى الخارج اذا لم يقبل أن يسافر وحده ‥

وقال « **وميك** » : عظيم ‥ ولكن هذه الترتيبات لا بد ان تتم بأقصى سرعة ممكنة ‥ ولابد أيضـا من وضع الخطط المحكمة لكى يتم التنفيذ بدقة وفى أمان ‥ ان « مستر جاجرز » يصر على ذلك ‥ وسيظل على اتصال بك للتنفيذ فى الوقت المناسب ‥ وهناك شىء آخر على درجة كبيرة من الأهمية ‥ يجب الا تذكر

اسم « كومبايسون » أمام الزائر بأى شـــكل من الأشكال .. لأن الزائر لو عرف أن « كومبايسون » هذا موجود هنا فى لندن ، فسوف يتعقبه ولن يتركه الا بعد أن يقتله .. !

وبعد انصراف « ويميك » .. جلست أمام المدفأة .. أتأمل شعلات اللهب .. وأتخيل الكيفية التى يجب أن يتم بها تهريب « ماجويتش » الى الخارج .. واختلطت فى ذهنى الأفكار والخطط ..

وقطع حبل أفكارى وصول « هربرت » الذى جاء توا من عند حبيبته « كلارا » التى تعيش مع أبيها المريض المتقاعد فى بيت يطل على النهر .. حيث يجلس الأب العجوز أمام النافذة ليتفرج على السفن القادمة والسفن المغادرة ..

وهنا طرأت فى ذهنى فكرة توهجت مثل البرق . فقلت « لهربرت » : هذا هو البيت المناسب .. منه نستطيع أن نركب قاربا يوصلنى أنا و « ماجويتش » لأية سفينة مســـافرة الى الخارج .. وهناك بعض قباطنة السفن على اســـتعداد لعمل أى شىء مقابل

الحصول على نقود ·· ودون أن يسألوا أى سؤال ··

وتحمس « هربرت » لفكرتى على الفور . وأضاف اليها فكرة جديدة فقال : اذن ·· يجب أن تشترى قاربا نضعه قرب البيت ·· ويجب أن نقوم ـ أنا وانت ـ بالتجديف لنتجول فى النهر كل يوم حتى يعتاد الناس على رؤيتنا فى هذا القارب ·· الى أن يجىء اليوم المحدد للهرب ·· فنركب القارب كالمعتاد ·· وتتم العملية دون أن نلفت نظر أحد ··

وفى اليوم التالى اشتريت قاربا وبدأنا التمرن على التجديف بطريقة صحيحة ·· وفى البداية لم نستطع أن نواصل التجديف الى وقت طويل فقد كانت عضلاتنا فى حاجة الى التليين حتى تعتاد عملية جذب المجداف··

وأعدت مع « هربرت » حافظة النقود التى تركها « ماجويتش » فى بيتى ، وطلبت منه تسليمها اليه ·· ثم قررت بعد ذلك أن أزور « ماجويتش » فى مقره الجديد ·· فسلكت طرقا جانبية كثيرة لتضليل أى شخص يتعقبنى ··

وعندما وصلت الى البيت ·· رأيت « كلارا بدرلى »



بيب يشترى قاربا ٠

لاول مرة ·· كانت فتاة حلوة ذات وجه مستدير جميل التقاطيع ·· وهنأت « هربرت » على حسن اختياره ·· فاحس بسعادة غامرة وهو يسمع تنائى على حبيبته « كلارا » ··

أما « ماجويتش » فلم يتقبل بسهولة فكرة نقله من مسكنه السابق واسكانه فى هذا البيت الذى يطل على النهر ·· وكذلك فقد أقنعته بصعوبة بأن الوقت الآن غير مناسب لشراء العربة والخيول حتى لا نلفت أنظار الناس ·· ولكنه اعترض بشدة على فكرة تهريبه الى خارج لندن ·· الى أن أفهمته بأنى سأكون فى صحبته فى تلك الرحلة ·· وعندئذ فقط استسلم ووافق على كل شىء ··

وطوال وقت الزيارة ، كان « ماجويتش » يمسك يدى بكلتا يديه وبحنان بالغ ·· ولم يتركها الا بعد انتهاء الزيارة وتأهبى للانصراف ·· وبطبيعة الحال، لم أعبر له عن نيتى فى تركه فى أى مكان آمن خارج انجلترا ·· والعودة بعد ذلك وحدى ·· !



بيب يبيع بعض جواهره

وساءت حالتى المالية الى أقصى حد ٠٠ فاضطررت عندئذ الى بيع بعض مجوهراتى ٠٠ ومع ذلك فان ثمن البيع لم يكن كافيا للوفاء بجميع التزاماتى ٠٠ ولذلك فقد قررت أن أتخذ خطوة جريئة ، وان كنت لا آمل كثيرا فى نجاحهـا ٠٠ قررت اللجوء الى الآنسة « هافيشام » لاقناعها بدفع الحصة المتبقية المنصوص عليها فى العقد الذى أبرمته مع « كلاريكار » لصالح « هربرت » ٠٠

وقبل أن أذهب الى محطة عربات السفر ٠٠ عرجت الى مكتب « مستر جاجرز » لأطلعه على تلك الخطة التى دبرتها لتهريب « ماجويتش » فوافق عليهـا ولكنه أضاف : لا تكن قلقا الى هذا الحد ٠٠ اطمئن ٠٠ فان خير مكان للاختباء ٠٠ هو مدينة كبيرة واسعة مثل لندن ٠٠

وما أن أوشك حديثى مع « مستر جاجرز » على الانتهاء . حتى دخلت الخادمة « مولى » وهى تحمل صينية عليها غداء ساخن ٠٠ ووضعتها على مائدة صغيرة ٠٠ وقد لاحظت أن « مولى » كانت مخفضة رأسها وتنظر دائما الى الأرض ٠٠



بيب يلاحظ الشبه الشديد

ولكن عندما نهضت من مقعدى متأهبا للانصراف ·· اصطدمت يدى بحافة الصينية فاهتزت،وسالت بعض الشوربة على مفرش المائدة ·· فرفعت « موللى » رأسها ونظرت الى بغضب ·· ورغم أن تلك النظرة لم تستمر أكثر من ثانية واحدة ·· الا أنى قد صعقت ·· فقد كان هناك شبه تام بين نظرات عينيها الغاضبة ، ونظرات عينى « ستلا » حين تغضب ·· نفس الأنف ·· نفس الخدين ·· كل ملامحها مطابقة تماما لملامح « ستلا » ·· !!

وقبل انصرافى من مكتب « مستر جاجرز » قابلت « مستر وميك » فى المكتب الخارجى ·· وانتحيت به جانبا **وسألته** : من هى « موللى » ·· ؟!

فقال هامسا : قاتلة ·· انها قاتلة ·· كان « مستر جاجرز » يتولى الدفاع عنها وحصل لها على حكم بالبراءة ·· كانت غيرتها على زوجها هى السبب فى الجريمة التى ارتكبتها ·· وقيل أيضا أنها قتلت طفلتها ·· !



مولى تخنق منافستها

الفصل الرابع عشر

النـار ٠٠!

وبينما كانت عربة السفر تقطع الطريق الى بيت الآنسة « هافيشام » ٠٠ كنت أفكر بعمق فى القصة التى ائتمننى عليها « ومبك » ٠ فالخادمة « موللى » تنتمى من بعيد الى أصل « غجرى » ٠٠ لذلك تجرى فى عروقها بعض الدماء الحارة ٠٠ وعندما تصورت أن زوجها يخونها مع امرأة أخرى ٠٠ خنقت تلك المرأة على الفور ٠٠ ويقال انها لكى تنتقم من زوجها فانها قامت بقتل ابنتها منه ٠٠

ولكن هذا غير صحيح ٠٠ فمازالت ابنتها تعيش



الآنسة هافيشام تكتب الرسالة

حية ٠٠ انها « ستلا » بنفسها ٠٠ ان الشبه تام بين عينيها وعيني ابنتها ٠٠ « مولي » اذن هي أم « ستلا » لا شك في ذلك ٠٠ ومن المحتمل انها وضعت نفسها في خدمة « مستر جاجرز » طوال هذا الزمن لأنه أنقذ ابنتها من الفقر والضياع ٠٠ !

وعندما قابلت الآنسة « هافيشام » لاحظت انها أصبحت أكثر عجزا وضعفا من ذي قبل ٠٠ ومع ذلك فقد أنصتت بهدوء وأنا أشرح لها المساعدة التي قدمتها سرا لمعاونة « هربرت » على شق طريقه في الحياة ٠٠ وسوء حالتي المالية التي لا تسمح لي الآن بتسديد الحصة المتبقية والتي حل موعدها طبقا للعقد ٠٠

وأخبرتها بأني في حاجة الى تسعمائة جنيه حتى أستطيع الوفاء بهذا الالتزام ٠٠

ظلت الآنسة « هافيشام » تنظر في نار المدفأة وهي تستمع الى هذا الطلب ٠٠ **ثم قالت بصوت حالم وكأنه يأتي من بعيد** : ان « هربرت » يستحق العون ٠٠ ان أباه « ماثيو بوكيت » قدم الى في يوم ما نصيحة

غالية .. ولكنى للأسف لم آخذ بها .. ففقدت سعادتى وعشت حياة تعسة شقية .. ليتنى استمعت الى تلك النصيحة الغالية .. !

ثم استدارت نحوى **وقالت بحدة** : اذا أعطيتك هذه النقود .. فهل تعدنى بأن يظل هذا السر خافيا على كل من « هربرت » وأبيه .. ؟!

فوافقت، وأعطيتها وعدا بذلك، فكتبت خطابا الى « مستر جاجرز » ليعطينى هذه النقود من حسابها .. فأخذت الخطاب وشكرتها على كل شىء ..

وعندما هممت بالانصراف .. **نادتنى بصـــــوت مرتعش :** « بيب » .. هل ترى كم أنا وحيدة الآن .. هل ترى كيف هجرتنى « ستلا » .. ؟!

فاجبت بهدوء : كان لا يمكن أن ينتهى الأمر بغير هذه الطريقة .. !

وكنت قد امتنعت عن قراءة الصحف فى الفترة الماضية ، حتى لا أصدم بقراءة أى خبر عن موعد زفاف

« ستلا » ·· ومع ذلك فقد سالت الآنسة « هافيشام » مترددا : هل تم الزواج ·· ؟!

فأومأت برأسها **وقالت بحسرة :** نعم ·· !

وفى الحـــال تبـدى الألم فى ملامح وجهى ·· وأحسست بأن قلبى يتمزق فى صدرى ·· ومع ذلك ، فقد لاحظت أن الآنســـة « هافيشام » أخذت تلهث وتتنهد ·· وسقطت عصاها من يدها ·· **وقالت بصوت يرتعش !!!** : ارى فى وجهك الآن يا « بيب » ·· نفس مشاعر الألم التى تبدت فى ملامح وجهى منذ سـنين طويلة ·· فى الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ··!

وخبأت وجهى بين يدى ·· حتى أستعيد رباطة جأشى ·· وظلت الآنسة « هافيشام » تنوح وتبكى بحرقة ·· وتهز رأسها بحركة دائبة يمنة ويسرة ·· **وتقول والندم يعصر قلبها :** ما هذا الذى فعلت ·· ما هذا الذى فعلت ·· ؟!

وأوشكت أن أقول لها أنها خربت حياتى وحطمتنى



انكسر قلبي بسبب زواج ستلا

.. ولكنى امتنعت لأن ذلك لا يعدو أن يكون نصف الحقيقة .. أما النصف الآخر فيتمثل فى الأخطاء الجسيمة التى ارتكبتها بنفسى .. وفى الأحلام الغبية التى كانت تدور فى خيالى .. وفى الطموحات السخيفة التى كنت أتطلع اليها .. وفى الآمال العديدة الحمقاء التى كنت أسميها الآمال الكبرى .. !

ولكنها مدت الى يديها المرتعشتين .. **وقالت متوسلة والدموع تطفر من عينيها :** سامحنى يا « بيب » .. أرجوك .. سامحنى .. !

وأمسكت بيديها **وقلت** : لقد سامحتك وغفرت لك !

فقالت وهى تضغط على يدى راضية :
لم أكن أضمر شرا منذ البداية .. كنت أريد فقط أن أهيىء « لستلا » مستقبلا لا تعانى فيه ما عانيت .. ولكنها كلما كانت تكبر كانت تزداد جمالا .. وكنت أثنى على جمالها باستمرار .. وأعطيها المجوهرات لتتزين بها وتزداد تألقا .. وكنت أحذرها دائما من الوقوع فى الحب .. حتى أصبح قلبها جامدا كالثلج .. !



سامحني يا بيب .. سامحني .. !

وسحبت مقعدا وجلست جوارها٠٠وسألتها بهدوء :
من هى « ستلا » فى الحقيقة ٠٠ ابنة من هى ٠٠ ؟!
فهزت رأسها وقالت : لا أدرى ٠٠ كانت مجرد فكرة عابرة طرأت فى ذهنى يوما ما ٠٠ قلت لنفسى لماذا لا أتبنى طفلة صغيرة لأمنحها حبى وأهيىء لها مستقبلا لا تلقى فيه مثل مصيرى ٠٠ وطلبت من «مستر جاجرز» أن يبحث لى عن طفلة . فوعدنى بأن يحضر الى طفلة يتيمة ٠٠ وفى يوم ما جاء ومعه الطفلة التى وعد بها ٠٠ كانت صغيرة لا تتجاوز العامين ٠٠ فتبنيتها ٠٠ وأطلقت عليها اسم « ستلا » ٠٠

ثم سكتت طويلا ٠٠ وأغمضت عينيها وغلبها النعاس ٠٠ ودخلت فى اغفاءة نوم خفيفة ٠٠ وهى جالسة على مقعدها أمام المدفأة ٠٠ فسحبت نفسى بهدوء وخرجت من الحجرة ٠٠ وهبطت درجات السلم ٠٠ وتجولت قليلا عبر الممرات والردهات والحجرات ٠٠ لاحساسى بأنى أشاهد هذا البيت لآخر مرة فى حياتى ٠٠

وفجأة ٠٠ دوت فى أذنى صرخة ملتاعة عالية ٠٠



النار مشتعلة بثوب زفافها

فجريت نحو مصدرها ·· وصعدت درجات السلم بسرعة ·· فرأيت حريقا قد نشب فى حجرة الآنسة « هافيشام » التى اندفعت نحوى ، والنار ممسكة بطرحتها وثياب زفافها ·· فخلعت معطفى على الفور ولففته حولها لأطفىء النار المشتعلة بجسدها والتى بدأت فى الامساك بشعر رأسها ·· وكانت تردد فى لوعة وأسى : قل لها لقد سامحتها ·· أخبرها بأنى قد غفرت لها ·· !

وجاء الخدم وأخمدوا الحريق ·· وارسلوا فى طلب الطبيب الذى جاء عاجلا ·· وفحص الآنسة «هافيشام» فوجدها مازالت حية ولكنها فاقدة وعيها ··

وبعد أن أسعفنى الطبيب وضمد الحروق الشديدة التى لحقت بيدى ·· سمح لى بالانصراف ، وطلب منى أن أواصل العناية بتلك الجروح حتى تلتئم ··

وفى اليوم التالى ، عدت الى لندن ··



هربرت يربط جروح بيب

الفصل الخامس عشر

أسرار من الماضى ..

كنت مازلت أعانى الصدمة الشديدة بعد أن وصلت الى بيتى فى لندن .. وقام « هربرت » على الفور باعادة ربط جروحى بأربطة نظيفة .. وكنت قادرا على تحريك أصابع يدى اليمنى برغم الأربطة ، أما يدى اليسرى فقد كانت اصابتها بالغة ، لذلك فقد أمر الطبيب بأن تربط بعناية وأعلقها على صدرى برباط يتدلى من عنقى ..

بالرغم من كل آلامى .. فقد كان على ان أقوم ببعض المهمات العاجلة .. ولكنى أصبت بالحمى وارتفعت



بيب يدفع الحصة المتبقية ..

درجة حرارتي .. ولذلك فقد أصر « هربرت » ان يقوم ببعض هذه المهام نيابة عني .. فقام بابلاغ والده وبقيه اقارب الانسة « هافيشام » بما حدث لها .. كما كتب رسالة الى « ستلا » التي كانت آنئذ في باريس ، ليبلغها بالحادث .. وذلك بعد أن عرف عنوانها عن طريق « مستر جاجرز » ..

وكانت هناك مهام أخرى لا بد أن أقوم بها بنفسي .. لذلك فما أن استعدت بعض قواى حتى ذهبت الى مقابلة « مستر جاجرز » ، وأطلعته على الرسالة التي حررتها الآنسة « هافيشام » .. فحرر على الفور شيكا بمبلغ تسعمائة جنيه لصـــالح « كلاريكار » .. وأمر باستدعاء « مستر كلاريكار » لمقابلتي في مكتبه ..

وبعد أن حضر واستلم مني الحصة المتبقية من العقد الذي أبرمته معه .. وعدني « مستر كلاريكار » بأن « هربرت » سيصبح على الفور شريكا كاملا بالشركة .. ولكنه قال مشترطا : ان على « هربرت » ان يسافر الى الشرق ، لينشيء ويدير أهم فروعنا الخارجية .. لأن أعمالنا الملاحية قد ازدهرت واتسع نطاقها ..

وبعد انصراف « كلاريكار » انتحى بى « مستر جاجرز » جانبا ، **وقال هامسا** : بدون ذكر أسماء ٠٠ لقد حان الوقت الآن للزائر القادم من « نيو ساوث ويلز » لكى يغادر لندن ويرحل بعيدا ٠ لان السلطات أوشكت ان تعرف مكانه ٠٠

وما ان وصلت الى البيت ، حتى أبلغت « هربرت » بما قاله « مستر جاجرز » ٠٠ ونظرنا نحن الاثنان الى اربطة الملفوفة حول يدى ٠٠ وشعرنا باليأس ٠٠ فأنا لا أستطيع الآن أن أمسك بمجداف القارب أو استخدامه ٠

ولكن « هربرت » **قال وهو يقترح حلا للمشكلة:** علينا أن نطلب المعونة من « ستارتوب » ٠٠ !

وكان « ستارتوب » هو ثالث الطلاب الذين كانوا يتعلمون لدى والد « هربرت » ٠ ٠هو ٠٠ وأنا ٠٠ والعنكبوت الكريه « درامل » ٠٠ ولكن «ستارتوب» كان صديقا أمينا يمكن الاعتماد عليه والثقة فيه ٠٠ وقد وافق على ما طلبناه منه بلا تردد ٠

وبحذر شديد ٠٠ وبعد التأكد من أن أحدا

لا يتتبعنا ·· قمنا بزيارة « ماجويتش » لاخباره بان خطة الهروب أصبحت على وشك التنفيذ ·· وأن عليه أن يستعد ·· وقد صدم « ماجويتش » حين رأى الأربطة حول يدى ·· وأخذ يهتم بجروحى وآلامى أكثر من اهتمامه بأية تفاصيل تتعلق بخطة الهروب ··· وقال لى مواسيا : آه يا بنى العزيز ·· انى لا أهتم الا بمصلحتك وحدها ·· أنت أعز عندى من ابن حقيقى خرج من صلبى ·· بل أعز من ابنتى التى فقدتها حين كانت طفلة ··

فقاطعته على الفور : ولكنك لم تحدثنى من قبل بأنك قد أنجبت طفلة ·· أين هى الآن ·· ؟!

تنهد بعمق واسترخى على مقعده وقال : انها قصة رهيبة ·· ولكن ما دمت أنت و « هربرت » تريدان أن تعرفا كل شىء عنى ·· فلا بأس أن أحكيها لكما ·· ولكن اسمحا لى أولا بأن أشعل غليونى ·· !

وعبأ غليونه بالطباق الأسود الكريه الرائحة الذى كان يفضله وبدا يحكى : ··· لقد نشأت دون أن أعرف لنفسى أبوين ·· كنت أعرف فقط انى عشت



ماجويتش يفزع لاصابة بيب

أغلب حياتى فى السجون ·· ما أن أخرج منها حتى أعود اليها ·· وفى وقت ما منذ زمن بعيد ·· تزوجت من فتاة غجرية ·· صغيرة ·· فى الحقيقة كانت نصف غجرية ·· وأنجبت طفلة صغيرة ·· ولكن زوجتى هذه كانت حادة الطباع ·· فخنقت احدى النساء بعد أن تأكدت من انى كنت معجبا بها ·· !

وتوقف برهة عن الكلام ·· وبدا كما لو كان يتخيل هاتين المرأتين اللتين كانتا تتنافسان على حبه منذ سنوات طويلة ·· ثم استعاد ذهنه وواصل حديثه : لقد غضبت مني زوجتى أشد الغضب ··· وهددتنى بأنها سوف تقتل طفلتنا انتقاما منى ·· ثم اختفت هى والطفلة قبل أن أفعل أى شىء ·· وعلمت فيما بعد بالقبض عليها وتقديمها الى المحاكمة بتهمة قتل المرأة التى نافستها فى حبى ·· وكان « مستر جاجرز » هو المحامى الذى دافع عنها حتى حصل لها على حكم البراءة ·· وكانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها اسمه ·· يا له من محام بارع هذا الرجل ·· وكان على أن أختفى حتى لا أضطر الى الشهادة



وهددته بقتل الطفلة

بأن زوجتى قد قتلت أيضا طفلتنا الصغيرة ··· وهى شهادة كان يستحيل معها أن يحصل «مستر جارجرز» على حكم البراءة ·· والآن يا « بيب » ·· هل عرفت لماذا اعتبرك الابن الوحيد لى ·· ؟!

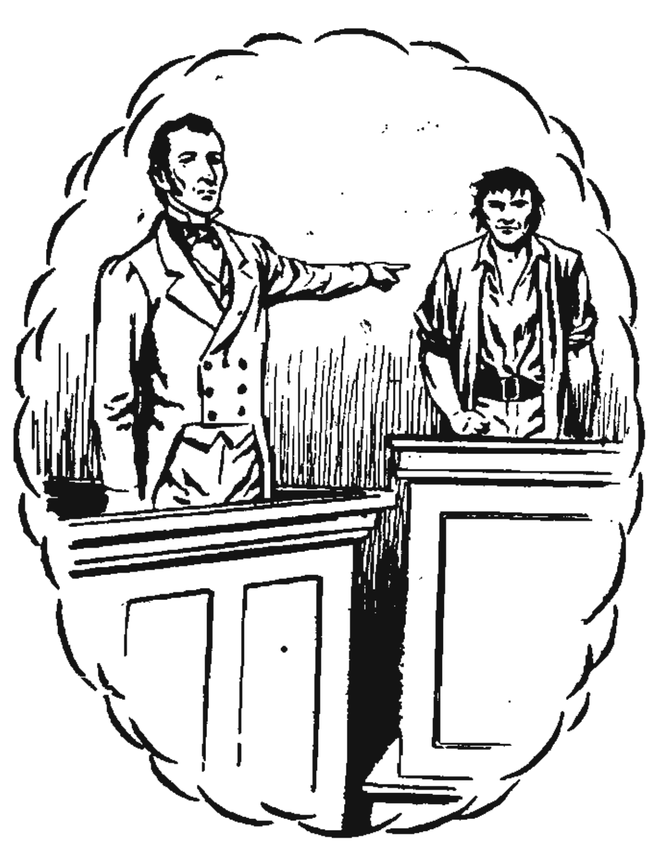
ولحسن الحظ فان جروحى كانت قد جعلت وجهى شاحبا لدرجة لم يظهر معها أثر الشحوب الجـــديد الذى نجم من سماعى هذه القصة الرهيبة التى زلزلت أعمــاقى ·· وجعلتنى غير قادر على النطق بكلمـــة واحدة ··

وأعاد « ماجويتش » اشعال غليونه من جديد ·· وقال مواصلا حديثه : ومع ذلك ·· وبعد كل هذه السنين فما عدت أحمل كراهية تجاه زوجتى أو أى شخص آخر ·· ولكنى أكره من صميم قلبى شخصا واحدا فقط ·· هو نفس الشخص الذى رأيتنى يابنى وأنا أضربه فى حفرة الطين بمستنقعات « كنت » ··· حين رأيتنى يا بنى العزيز لأول مرة ·

قال ذلك وهو يضغط على ركبتى ليذكرنى بهـذا



الموقف .. فاضطررت للابتسام موافقا .. رغم أن رأسي أوشكت أن تنفجر بما يدور فيها من أفكار .. وواصل « ماجويتش » حديثه : لقد استغلني هذا الرجل أسوأ استغلال .. كان يتظاهر بأنه « جنتلمان» .. وكان يضع خطط الجرائم ويطلب مني تنفيذها .. وبهذه الطريقة يظل هو آمنا .. بينما أواجه أنا المخاطر والنتائج وحدى .. ثم استولى هذا الرجل على معظم الأموال التي حصلنا عليها من جرائمنا .. وادعى انه هو الذى خطط بعقله للحصول على تلك الأموال ... وانه صاحب الفضل الأول في ذلك .. أما جرأتي أو قوة عضلاتي فلا أهمية لها .. ويمكنه أن يستخدم أى شخص آخر بدلا منى .. وعندما قبض علينا معا . شهد ضدى في المحاكمة .. بل وقال أني كنت أحرضه على ارتكاب الجرائم .. وقد صدقته المحكمة عندما قارنت بين مظهرى الاجرامى الرث ، ومظهره النظيف المتأنق .. ولهذا السبب حكموا بسجنى .. وأطلقوا سراحه .. فأقسمت أن أنتقم منه .. وعندما خرجت من السجن سألت وبحثت عنه في كل مكان .. وأخبرتنى زوجته انه متفرغ لخداع احدى النساء



كومبايسون يشهد ضد ماجويتش

الثريات فى منطقـــة « كنت » ‥ فذهبت الى هناك فورا لاتعقبه ‥ ولعلك تذكر يا « بيب » أنه كان فى امكانى أن أستعيد حريتى بعـد أن كسرت قيدى الحديدى مستعينا بالمبرد الذى أحضرته لى ‥ ولكنى امسكت به فى المستنقعات ‥ حتى لا أمكنه من الهرب وأعيده الى السجن مرة أخرى ‥ انى لا أكره أحـدا فى الدنيا قدر كراهيتى لهذا الرجل الذى يســـــمى « كومبايسون » ‥ !

وما أن سمع « هربرت » أسم « كومبايسون » حتى انتفض مندهشا ‥ ولكنه لزم الصمت ولم يتكلم ‥ وبعد أن انتهت زيارتنا « لماجويتش » وخرجنـــا الى الشارع حتى بدأنا ـ أنا و « هربرت » ـ فى الكلام فى وقت واحد ‥ ولكن لأن صوتى كان أعلى من صوته فقـــد بدأت الكلام قبله ‥ وأبلغته بالمعلومات التى حصلت عليها من « وميك » بخصوص قصة الخـادمة « مولل » ‥ وربطت بينها وبين القصة التى حكاهـــا لنا « ماجويتش » ‥ **وقلت فى النهـاية** : اذن ‥‥ فان « ماجويتش » هو بعينـــه والد « ستلا » ! ‥‥



بيب وهربرت يتبادلان الحديث

ولكن ما هي الفائدة من اعلان ذلك ٠٠ ؟!!

فوافقني « هربرت » على هذا الاستنتاج ٠٠٠ وأقسمنا معا على أن نحتفظ بهذا السر لأنفسنا ولا نخبر به أحدا ٠٠ ثم قال « هربرت » : ولكن هذا الرجل الذي يسمى « كومبايسون » ٠

فقاطعته على الفور : انه هنا في لندن ٠٠ ولكن لابد من اخفاء هذا الأمر عن « ماجويتش » ٠٠ وهذا هو السبب في انى لم أشر اليك من قبل باسم « كومبايسون » بعد أن عرفته عن طريق « مستر وميك » ٠

وقال « هربرت » في النهاية : كنت اريد أن أقول لك ٠٠ أن « كومبايسون » هذا ٠٠ هو نفس الشخص الذي أحبته الآنسة « هافيشام » وكان سببا في مأساتها ٠



البحث عن سفينة اجنبية

الفصل السادس عشر

التجديف الى الحرية ..

قررنا تنفيذ خطة الهرب يوم الأربعاء .. وفى يومى الاثنين والثلاثاء .. ذهبت مع « هربرت » الى بعض الشركات الملاحية لمعرفة جداول ابحار السفن الأجنبية المتوجهة الى الخارج يوم تنفيذ الخطة .. واتفقنا مع سفينة مسافرة الى « هامبورج بالمانيا » .. وشاهدنا تلك السفينة وهى راسية على الرصيف حتى نحفظ شكلها ونتعرف عليها بسهولة عند تنفيذ الخطة ..

وتتلخص الخطة التى رسمناها فى قيامنا بالتجديف حتى نصل بقاربنا الى بيت « كلارا » ... وهناك ينتظرنا « ماجويتش » .. وبمجرد أن يرانا قادمين نحوه ، فعليه أن يهبط فورا عبر الدرجات الحجرية المبنية على الشاطىء حتى يصل الى قاربنا ويركب معنا .. وعندئذ نواصل التجديف حتى نصل

الى مكان مناسب لانتظار الباخرة المتجهة الى «هامبورج» لتلتقطني أنا و « ماجويتش » الى ظهرها ·

وقد وضعنا الخطة على أن يقوم كل من «هربرت» و « ستارتوب » بالتجديف ، وأن أمسك أنا بدفة القارب ·· وبطبيعة الحال فاننا لم نخبر «ستارتوب» بكل أبعاد القصة ·· وانما اخبرناه فقط باننا نريد أن نشركه معنا في أحد أسرارنا البسيطة ، التي وجدنا أنفسنا مضطرين للاشتراك فيها ·

وبينما كنت أنهي اجراءات جوازات السفر بمكتب « مستر جاجرز » ، تولى « هربرت » ابلاغ كل من « ستارتوب » و « ماجويتش » بالاستعداد ·· وفي حقيقة الأمر كنا ـ أنا و «هربرت»ـ في غاية الاضطراب ·· وكنا نشعر باننا موضوعان تحت المراقبة بالرغم من أننا لم نر أحدا يراقبنا أو يتتبع خطانا ··

ويوم الأربعاء الموعود ·· كان أحد أيام شهر مارس التي يختلط فيها حر الصيف ببرد الشتاء ·· ولذلك فقد ارتدينا ملابس ثقيلة ، وأخذت معي حقيبة متوسطة الحجم بها بعض أدوات الزينة وبعض غيارات الملابس ·

وفى تلك اللحظات لم أكن أدرى ما هذا الذى افعله ·· ولا الى أين أنا ذاهب ·· كنت لا أفكر فى أى شىء سوى توفير الأمان « لماجويتش » ·· وقبل أن أغادر شقتى ، ألقيت نظرة أخيرة على الحجرات ·· فمن يدرى ·· ربما لن أرى هذه الحجرات بعد ذلك أبدا ·· ؟!

وكان « ستارتوب » ينتظرنا بالقارب ·· وبدأنا الابحار فى الساعة الثامنة والنصف صباحا ·· وماهى الا لحظات حتى أصبحنا جزءا من الحركة النشيطة التى تدب على سطح النهر ·· حيث توجد الكثير من الصنادل التى تحمل شحنات الفحم ·· والعديد من البواخر القادمة والمغادرة ·· وقوارب صيد الأسماك ·· وقوارب أخرى مماثلة لقاربنا مملوءة بعديد من الناس الذين يقصدون النزهة أو يرغبون فى ممارسة رياضة التجديف ·

وكان علينا أن نجدف مع تيار المد حتى الساعة الثالثة عصرا ·· ثم نستمر بعد ذلك فى التجديف ضد التيار حتى موعد حلول الظلام وعندئذ نكون قد



بيب يجهز حقيبته

وصـــــلنا منطقة تقع بين مقاطعة « كنت » ومقاطعة « اسكس » حيث يتسع مجرى النهر وتقل فيه الحركة .. ثم نقضى الليل فى احدى الحانات النائية حتى صباح اليوم التالى .. فنعود الى القارب مرة أخـرى لننتظر الباخرة المتوجهة الى « هامبورج » التى اتفقنا معها .. والتى كان من المفروض أن تغادر لندن فى الساعة التاسعة تماما من صباح يوم الخميس .

وعندما كنا نجدف فى طريقنـا الى بيت « كلارا » .. رأينا « ماجويتش » وهو يهبط درجات السـلم الحجرى متجها نحونا .. كان يرتدى عباءة واسعة ، ويحمـل حقيبة سـوداء من التيـل .. وكان منظره يوحى بأنه أحد البحارة الذين يعملون بالسفن النهرية .. وأمسك « هربرت » بيده ليساعده فى النزول الى قاربنا .

وفى الحال ، وضع « ماجويتش » ذراعه حول كتفى وقال : يا بنى العزيز المخلص .. لقـد تم كل شىء على نحو حسن .. شكرا لك .. شكرا لك .. !

فضغطت على يده .. وتلفت بعصبية لأنظر هنا



ماجويتش يتهيأ لركوب القارب

وهناك حتى أتأكد من عدم وجود أى أحد كان يراقبه أو يتتبع خطاه ‥ وبدا كل شيء طبيعيا ‥ وعلى هذا واصلنا التجديف ‥ وأشعل « ماجويتش » غليونه ‥ وكان أقلنا اضطرابا وأهدأنا اعصابا ٠

وعندما أرخى الظلام سدوله ‥ رسونا بقاربنا قرب حانة فقيرة منعزلة تطل على الشاطىء ‥ وكان صاحب الحانة وزوجته يبدوان كما لو كانا من المتشردين ‥ ومع ذلك فقد قدما الينا عشاء طيبا تناولناه على مائدة قرب المدفأة ٠

وكان كل من « هربرت » و « ستارتوب » الذى عرف الآن كل أسرار خطة الهرب ، فى غاية التعب والارهاق لقيامهما بالتجديف طول النهار ‥ ولذلك فسرعان ما غط كل منهما فى نوم ثقيل ٠

أما أنا فقد نمت فى نفس الغرفة التى نام فيها « ماجويتش » ‥ كنت حريصا على الا يغيب عن نظرى ‥ ونمت نوما متقطعا رغم احساسى بالتعب والارهاق ‥ واستيقظت فزعا عدة مرات أثناء الليل ‥ وكان يخيل الى أنى كنت أسمع أصوات رجال



تناول العشاء بالحانة المنعزلة

يتكلمون .. وفى آخر مرة .. سمعت بالفعل صوت رجلين يتحدثان عند النهر ، ففتحت النافذة بحـــذر وظللت .. فرأيت رجلين يقومان بتفتيش قاربنـــا المربوط بالشاطىء .. وعندما لم يسفر التفتيش عن شيء ، انصرف الرجلان دون أن يلقيـــا أية نظرة على الحانة .. وخمنت أن الرجلين من مفتشى الجمارك .

وفى صباح اليوم التالى نهضنا مبكرين ، وعدنا الى القارب .. وجدفنا حتى وصلنا الى منطقة مســتترة بجانب الشاطىء .. وهنـــاك توقفنا لانتظار الباخرة المتوجهة الى « هامبورج » .. وفى الســـاعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، ظهر لنا دخان الباخرة وهى قادمة نحونا .

وفى الحال ، بدأنا ـ أنا و « ماجويتش » ـ نستعد .. وحمل كل منا حقيبته .. وسلمت على «ستارتوب» وعلى « هربرت » .. حيث لاحظت أن عينيه مثـــل عينى مغرورقتان بالدموع .

وبدأنا نجدف حتى نصل قرب الخط الذى تسير



وظهر دخان الباخرة

فيه الباخرة ·· وفى نفس الوقت بالضبط بدأ قارب آخر يتجه الى نفس الاتجاه حتى اقترب تماما من قاربنا ·· وعلى هذا القـــارب رأينا رجالا يجدفون ، ورجلا يمســـك بالدفة ، ورجلا آخر يجلس بجواره يلتحف بعباءة واسعة ويصدر أوامره وتوجيهاته للرجل الذى يمسك بالدفة ·

ونادى علينا الرجل الذى يمسك بالدفة : معكم سجين مطرود من انجلترا ولا يجوز له العودة اليها ·· وأنا آمر « آبيل ماجويتش » بأن يسلم نفســـه بلا مقاومة ·· وعليكم أن تساعدونا فى اعتقـــاله والقبض عليه ·· !!

وهنا كان القارب الآخر قد سد الطريق تماما أمام قاربنا ومنعـه من الحركة ·· ثم امتدت الأيدى وامسكت بقاربنا وسيطرت عليه تماما ·· وقد تسبب هذا الموقف فى حدوث ارتباك على ظهر الباخرة حيث سمعنا أصواتا تدعونا ·· وأصواتا أخرى تأمر بايقاف ماكينات الباخرة ·· وقد توقفت الماكينات بالفعـل ولكن الباخرة مع ذلك ظلت تتقدم نحونا ·



ماجويتش يقفز على كومبايسون

وفى هذه اللحظة انحنى الرجل الذى كان يوجه الدفة نحو قاربنا ، ومد يده وأمسك « ماجويتش » من كتفه ·· ولكن « ماجويتش » انحنى بدوره ومد يده ونزع العباءة عن الرجل الذى كان يصدر الأوامر والتوجيهات ·· كان هو نفس السجين الهارب الثانى الذى قابلته فى طفولتى فى مستنقعات « كنت » ·· كان « كومبايسون » بعينه ·· !

وتبدى الفزع الشديد على وجه « كومبايسون » الذى تراجع الى الخلف من شدة الخوف ·· ولكن « ماجويتش » قفز من قاربنا الى القارب الآخر لكى ينقض على « كومبايسون » ·· ولكن هذه الحركة العنيفة المباغتة أدت الى اهتزاز القاربين بشدة ، وفى لحظة ، انقلب قاربنا بمن فيه ·· !

وانتشلونى من الماء ورفعونى الى القارب الآخر ·· ثم انتشلوا « هربرت » ثم « ستارتوب » ·· ونظرت ملهوفا لأطمئن على « ماجويتش » فرأيته يسبح بضعف شديد ويقاوم الغرق ·· فرفعه الرجال الى قاربهم ·· وقاموا بتكتيف يديه وقدميه ·

وهكذا باءت خطة الهروب بفشل ذريع ·· !



جرح ماجويتش جروحا خطيرة

الفصل السابع عشر

يابنى العزيز ..!

كان « ماجوتيش » يتنفس بصعوبة بسبب جرح خطير فى صدره وجرح آخر براسه .. وقد اصيب بهما بعد أن صدمته الباخرة التى كنا ننوى الهرب على ظهرها الى « هامبورج » ..

واحتضنته بين ذراعى .. وبأنفاس لاهثة متقطعة .. أخذ يحكى لنا كيف هجم على «كومبايسون» والقاه فى الماء .. وكيف تصارع الرجلان الى أن انتشلوه وحده دون أن يعرف ماذا حدث «لكومبايسون»

وظللنا ندور بالقارب فى آخر منطقة شوهد فيها



جميع ممتلكاته ستصادر طبقا للقانون

« كومبايسون » حيا .. ولكن بلا جدوى .. فقد اختفى .. وظهرت جثته على الشاطىء فيما بعد ..

وفى اثناء عودتنا بهذا القارب الى لندن .. عرجنا الى احدى الحانات المطلة على النهر لاستراحة قصيرة .. وطلبت من الضابط ـ وهو نفس الرجل الذى كان يدير دفة القارب واصدر الينا أمرا بالتوقف ـ بأن اشترى بعض الملابس « لماجويتش » بدلا من ملابسه المبتلة .. فوافق الضابط بعد ان أفهمنى أن جميع متعلقات السجين بما فيها نقوده وملابسه المبتلة ، لابد أن تسلم الى السلطات فى لندن ..

ونظرا لعلمى بأن مثل هذا القرار سيحطم قلب « ماجويتش » لذلك فقد قررت الا أبلغه به .. وجلست بجواره صامتا .. وامسكت بيده لعلى بذلك أشجعه على تحمل الألم .. ولكنه ابتسم بحنان **وقال** : يابنى العزيز .. كنت اعرف تماما أن عودتى الى انجلترا تعتبر مغامرة غير مأمونة العواقب .. ولكنى كنت اريد أن أراك .. وقد رأيتك وسعدت بك .. ولهذا فانى راض .. ومقتنع بأنك أصبحت قادرا على أن



جاجرز يدافع عن ماجويتش

نعيش «كجنتلمان» بدونى ·· ولكن لا يجوز «لجنتلمان» مثلك أن تكون له علاقة بأمثالى ·· ولكنى أرجوك أن تحضر الى قاعة المحكمة ، وتجلس فى مكان أستطيع أن راك فيه ·· أنا لا أريد أكثر من ذلك ·· !

بكيت من شـــدة التأثر وقلت باصرار : لا يا « ماجويتش » ·· لن أتخلى عنك ماداموا يسمحون لى بالتردد عليك لزيارتك ·· سأبقى دائما الى جانبك ·· وسأكون مخلصا لك كما كنت دائما مخلصا لى ·· !

وشعرت بأن يده كانت ترتجف عندما كان يسمع كلامى هذا ·· وابتسم فى رضا ·· ثم نام ··

ولم تستغرق المحاكمة فترة طويلة ، فقـد كانت لقضية واضحة ·· وتولى « مســتر جاجرز » الدفاع عنه ، رغم أنه أبلغنى بأن الأمر ميئوس منه ولا أمل فيه ·· وقدم « مستر جاجرز » الى المحكمة شهادة تؤكد أن « ماجويتش » قد تاب عن الاجرام منـذ أن غادر انجلترا ·· وأنه قد أصبح بالفعـل شـــخصا ناجحا محترما فى « نيو ساوث ويلز » ·· ولكن ما فائدة كل

ذلك أمام الحقيقة الدامغة ... وهى أن على «ماجويتش» أن يواجه عقوبة الاعدام شنقا اذا عاد الى انجلترا ٠!؟

ولأن الجروح التى لحقت « بماجويتش » كانت بالغة وخطيرة ٠٠ خصوصا بعد تلوثها بماء النهر ، فقد ساءت صحته وتدهورت قواه ٠٠ ومع ذلك فلم يكتسب عطف المحلفين الذين لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا امام صراحة القانون ٠٠ لذلك فقد قرروا انه مذنب ٠ !

ولم يكن امام القاضى سوى ان يصدر الحكم بالاعدام ٠٠ ولم يكن أمام « ماجويتش » سوى ان يقول للقاضى : سيدى ٠٠ ان الأعمار بيد الله ٠٠ وليس امامى سوى أن اخضع لحكمك ٠٠ !

وأخذت أصلى وأتمنى من صميم قلبى أن يموت « ماجويتش » قبل أن ينفذوا فيه حكم الاعدام ٠٠ كما اخذت أكتب الالتمسات لكل شخص فى السلطة يمكنه أن يقدر الموقف ٠٠ وكنت أعزز هذه الالتماسات بزيارات شخصية لهؤلاء المسئولين أستعطفهم فيها أن يعيدوا النظر فى تنفيذ هذا الحكم ٠٠ وأحكى لهم

قصة شهامة هـذا الرجل ومدى حرصـه على توبتـه وصلاحه ..

ونتيجة لبعض الاتصالات ، فقد سمح لى بزيارة « ماجويتش » كل يوم فى مستشفى السجن .. كان راقدا على سريره بلا حراك .. يتنفس بصعوبة وغـير قادر على الكلام .. ولكنـه كان يعبر لى عن فرحتـه بزيارتى له بمجرد ضغطة خفيفة ضعيفة من يده على يدى .. وكانت حالته تتدهور يوما وراء يوم ..

وفى زيارتى العاشرة له .. لاحظت بعض التغير. فقد برقت عيناه بمجرد أن رآنى .. **وقال هامسـا بصوت خفيض مرتعش** : يابنى العزيز .. انك دائما أول زائر يدخل مستشفى السـجن .. قبـل كل الزوار الآخرين ..

فقلت له لأطمئنه وارفع معنوياته : اننى أنتظـر امام البوابة .. لأكون اول من يدخل عندما يسـمح بالدخول .. لا اريد ان اضيع ولو دقيقة واحدة من الوقت المسموح به ..



بيب يكتب عرائض طلب الرحمة

فقال هامسا فى ارتيــاح : شــــكرا لك يابنى العزيز .. بارك الله فيك .. انك لم تتخل عنى أبدا..

فضغطت على يده ولزمت الصمت ، اذ لا يمكن أن أخبره بأنى كنت قد دبرت خطة الهروب لكى أتخلى عنه بعد ان أوصله الى مكان آمن ..

وواصل همسه : من أعظم المواقف التى اقدرها لك .. انك أصبحت أكثر قربا منى بعد أن اكتنفت حياتى تلك السحابة المظلمة .. مع انك لم تكن قريبا منى الى هذا الحد حينما كانت تسطع الشمس .. ان هذا عندى يساوى كل شىء ..

وهنا بدأ صوته يضعف .. وخارت قواه تماما.. وعلت الغشاوة والشحوب وجهه وعينيه .. وسحب يدى بضعف شديد ووضعها على صدره تحت يديه .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة خافتة ..

ودق جرس السجن معلنا انتهاء الوقت المحـدد للزيارة ، فى نفس الوقت الذى دخـل فيــه طبيب السجن الى الحجرة .. فهز رأس « ماجويتش » ونظر



ماجويتش يحتضر ..

الى فى حزن ‥ ووضع يده على كتفى كاشارة منه لكى أبقى فى مقعدى ولا أنصرف ‥ وفهمت من ذلك أن « ماجـويتش » يحتضر ويعيش لحظاته الأخـيرة ‥ وعندئذ انحنيت عليه ‥ **وقلت هامسـا وأنا أغالب دموعى** : يا عزيزى « ماجويتش » ‥ أريد أن أخبرك بسر عظيم قبل أن تغادر هذه الدنيا ‥ هل تستطيع أن تفهمنى ‥ ؟!

فضغط على يدى بضعف ليؤكد لى أنه يستطيع أن يفهم **فقلت** : هل تذكر ابنتك التى كنت تعتقد انها قتلت ‥ ؟ !

فضغط على يدى مـرة أخـرى ‥ **فواصـلت الحديث** : انها لم تقتل يا « ماجويتش » كمـا كنت تعتقد ‥ انها تعيش الآن كسيدة محترمة فى هـذا المجتمع ‥ انها جميلة جدا بل وأكثر النساء جمالا ‥ وأنا أحبها ‥ من كل قلبى ‥ !

وكانت آخر حركة قام بهـا « ماجويتش » فى هذا العالم ‥ أن سحب يدى بمنتهى الضعف ‥



آخر اعمال ماجويتش .. قبلة

وقربها من شفتيه ·· وقبلها ·· ثم أعادها الى مكانها فوق صدره ·· وازدادت الغشـاوة على عينيـه ·· ومالت رأسه ·· ومات « ماجويتش » ·· !

لم أخش مشـاهدة الموت عـن قـرب الى هذا الحد ·· بل لعلى شعرت بالارتياح والهدوء والسلام· ولاحت فى ذهنى فكرة الندم على أنى لم أكن مخلصا للصداقة الحقيقية التى يكنها لى « جو جاجرى » ·· فلا أقل من أن أكون مخلصا لذكرى « ماجويتش » ·· ولن أنسى الى الأبد مشاعر الحب الصادق **وهو يقـول لى** : يابنى العزيز ·· !!



بيب يعرض مسكنه للايجار

الفصل الثامن عشر

تغيرات كثيرة ..

أفقت الى نفسى اخيرا واخذت افكر فى احوالى المالية السيئة ، والتى ازدادت سوءا أكثر من أى وقت مضى .. فأنا غارق فى ديون باهظة .. وكان على أن أؤجر شقتى من الباطن لأنها أصبحت غالية التكاليف بالنسبة لى ، خصوصا بعد ان سافر « هربرت » الى القاهرة فى مصر .. ليدير فرع شركة « كلاريكار » هناك .. وقد وعدنى « هربرت » قبل سفره بأنه على استعداد أن يمنحنى وظيفة فى هذا الفرع فى أى وقت اريد ..



وتجول فى الشوارع يائسا

وعلى أية حال فلم استطع اتخاذ اى قرار بشأن مستقبلى لأنى سقطت مريضا .. كنت احس ببوادر المرض وهى تتسلل الى ببطء ، الى ان مات «ماجويتش» .. فعندئذ بدأ المرض يشتد وبدأت صحتى فى الانهيار السريع .. وأصبت بحمى شديدة جعلتنى أرقد على السرير مرتعشا غير قادر على الحركة ..

وبين حين وآخر ، كانت تنتابنى نوبات من الهذيان فأهب من مرقدى .. وأغادر البيت متجولا فى الشوارع بلا هدف ولا وعى .. وفى يوم ما ، تنبهت الى وجود شخصين بالقرب منى .. ينظران الى بحزن وأنا راقد على رصيف الشارع بجوار منزلى .. **فقلت لهما بصوت مبحوح** : من أنتما .. وماذا تريدان .. ؟!

فقال احدهما : لقد جئنا يا سيدى للقبض عليك بسبب عجزك عن الوفاء بالديون .. !

فصدرت منى آهة مؤلمة .. وحاولت القيام ولكنى تهاويت .. **وقلت لهما يائسا** : كان بودى أن أذهب معكما .. ولكنى مريض ولا أستطيع ..



جو يعتني ببيب

ابتعد الرجلان عني قليلا ٠٠ ثم اخذا يتجادلان معا ٠٠ ثم انصرفا ٠٠ وتحاملت على نفسي وعدت الى البيت ٠٠ ورقدت على الســـرير مستسلمـــا للحمى وأضغاث الكوابيس ٠٠ ومن شدة حــالات الهذيـــان التي كانت تنتابني ٠٠ كنت اتخيل جميــــع الناس الذين عرفتهم وقابلتهم في حياتي وكأنهم جالســـون جوار سريري ٠٠ واحدا تلو الآخر ٠٠ وعندما كانت تختفي جميع الوجوه ٠٠ لا يبقى الا وجه واحد دائما ٠٠ وجه « جو » ٠٠

كنت أتخيــل انه جــالس بجانبي ٠٠ ويبتسم ليشجعني ٠٠ ويمسح وجهي بقطعة من الاسفنج مبللة بماء بارد ليخفف الحرارة عن رأسي ٠٠ وأفقت في لحظة ، فرأيت أمامي نفس الوجه ٠٠ فقلت بضعف : هل أنت هنا يا « جو » ٠٠ ؟!

فابتسم بفرح وقـــال : نعم يا « بيب » ٠٠ يا صديقي العجوز ٠٠ !

فانخرطت على الفور في البكاء ٠٠ ليس هذيانا هذه المرة ، وانمـا هو بكاء صادق يعبر عن احساسي

بالندم وقلت فى لوعة : « جـو » ·· يا صـــديقى العظيم ·· أنا لا أستحق كل هذا العطف منك ·· لقـــد أغضبتك ·· وخنت صـــداقتنا ·· اضربنى يا « جو » ·· لأنى استحق الضرب ·· ولا تعطف على كل هذا العطف ·· !

ولكن « جو » كان فى غاية السعادة لأنى أفقت وبدأت استعيـــد وعيى واستطعت التعرف عليه ·· فركع الى جوار سريرى وقال وعينـــاه مغرورقتـــان بالدموع : أنا وأنت كنا ومازلنا أصدقاء ·· ياعزيزى « بيب » ·· اهدأ يا عزيزى حتى تستعيد صحتك ··!

واخذ « جو » يرعانى ويمرضنى لمدة شهر كامل ·· الى أن بدأت أستعيد قواى بالتدريـج ·· وكنت أتخيل أيام الطفولة فى مستنقعات « كنت » وقد عادت من جديد ·· حين كان « جو » يقوم باطعامى ويرعى شئونى ··

وفى احدى الأمسيات ·· حين لاحظ « جـــو » أنى أصبحت فى طريقى الى شفاء قريب ·· اخبرنى بأن الآنسة « هافيشام » قد ماتت متأثرة بحروقها ··

وكما هو متوقع فقد ورثت « ستلا » كل أموالهــا وممتلكاتها ..

وأخبرت « جو » بالتالى بما جرى فى قصة حياتى .. وانهيار آمالى الكبرى .. واكتشافى أن المحسن الذى تبرع لى بكل أمواله لم يكن الآنسة «هافيشام» .. وانما هو « آبيل ماجويتش » ..

وهنا قاطعنى « جو » قائلا : لقد سمعت بعض الاخبار عن ذلك .. وهذا لا يهمنى بالمرة .. مثــل هذه الأشياء لا أهمية لهـا بين الأصدقاء الحقيقيين ..

وعلى الفور نهض « جو » ليعد لنا طعام العشاء .. وليضع حدا لهذا الموضوع ..

وبعد أن أكتمل شفائى .. استيقظت ذات صباح فلم أجد « جو » .. لقد رحل فى الصباح الباكر .. وترك رسالة مليئة بالأخطاء الاملائية كتبها بنفســه بعد أن علمته « بيدى » القراءة والكتابة ..

كانت رسالة وداع رقيقة .. ومرفق بها ايصال



لقد دفعت الديون ..

بدفع الدين الذى قبض على بسبب عدم الوفاء به فى موعده .. ويدل الايصال على أن « جو » هو الذى قام بتسديد هذا الدين .. والحقيقة انى كنت أظن - بسبب شدة مرضى وغيابى عن الوعى - أن الدائن صاحب الحق فى هذا الدين قد توقف عن اتخـــاذ الاجراءات القضائية بسبب سوء صحتى .. ولم أكن اتصور أبدا أن « جو » قد دفع هذا الدين من ماله الخاص ..

ارتخيت على المقعد وأنــا أمســك بالايصـــال وبرسالة الوداع .. ودارت فى ذهنى ذكريات الماضى البعيد .. السعيد .. والهـــواء النظيف النقى الذى يهب من ناحية النهر والمستنقعات .. ووجه «بيدى» الجميل الصبوح .. « بيدى » التى صادقتها ووثقت فيها منذ أن حلت ببيتنا بعد حادث الهجوم على أختى .. وتذكرت كم كنت غبيا وأنانيا حين تناسيت كــل تلك الأيام الجميلة الحلوة ..

وبينما كنت غارقا فى فيض الذكريات هكذا .. لاحت فى ذهنى فكرة هائلة .. لماذا لا أبــدأ حياة



بيب يقرر الزواج من بيدى

جديدة ‥ ولماذا لا اتزوج من « بيدى ‥ فلأتقدم اليها لاطلب يدها وأعبر لها عن ندمى ‥ ولأخبرها بصدق انى قد جئت طائعا ‥ وانى على استعداد لقبول أى شىء تراه بالنسبة لمستقبلى ‥ فلو أرادت ان أعمل مع « جو » فى ورشة الحدادة فلن أمانع ‥ واذا رأت أن أحصل على وظيفة بالقرية أو فى الريف فسوف أوافق ‥ وسأخبرها بالعرض الذى قدمه الى « هربرت » قبل أن يسافر ‥ فاذا قبلت أن تصحبنى لتعيش معى فى مصر ، فان ذلك سيكون قمة سعادتى ‥

وما أن انقضت ثلاثة أيام ، حتى اخذت عربة السفر متجها الى « كنت » ‥

كنا فى شهر يونيو ‥ وكان الجو صحوا والسماء زرقاء خالية من السحب ‥ وتطير العصافير بفرح فوق سنابل القمح الخضراء ‥

وعندما اقتربت من البيت ‥ لم اسمع دقات مطرقة « جو » المعهودة ‥ وعندما اقتربت من الورشة



بيدى وجو في يوم زفافهما

فوجئت بأنها مغلقة .. فانتابني احساس عارم من الخوف ..

أما البيت فلم يكن يبدو مهجورا .. بل رأيت ستائر نظيفة بيضاء تتطاير من خلال النافذة المفتوحة بغرفة الجلوس .. وعندما نظرت الى الداخل من خلال تلك النافذة .. رأيت « بيدى » و « جو » وهما يلوحان لى مرحبين بحضورى .. واقبلا على يعانقانى بسعادة غامرة .. وقالت « بيدى » : هاأنتذا أخيرا يا « بيب » .. يا أعز صديق .. ليتك قد جئت يوم زفافى .. كانت حفلة طيبة .. لقد تزوجنا .. أنا و « جو » .. !!

وهنأتهما بحرارة وأنا أخفى خيبة أملى .. وقضيت معهما عدة ساعات قبل أن أرحل عائدا الى لندن ..

وبعت كل ممتلكاتى ، وسويت معظم ديونى .. وسافرت الى مصر .. وعملت موظفا بفرع شركة « كلاريكار » معاونا « لهربرت » .. وكان « هربرت »



. بيب يعيش مع عائلة بوكيت في مصر

قد تزوج « كلارا » فعشت معهما فى نفس البيت ..

وبالتدريج ، حققت الكثير من النجاح والتقدم ، فسددت كل ديونى .. واصبحت أعيش حياة بهيجة طيبة معتمدا على نفسى .. وكنت أكتب الرسائل الى « جو » و « بيدى » بين حين وآخر ..

وبعد عدة سنوات ، أصبحت شريكا كاملا فى شركة « كلاريكار » ..

ولا يمكننى أن أقول ان شركتنا كانت تعتبر من الشركات الكبرى .. ولكننا حققنا أرباحا كثيرة ، وكانت لنا سمعة طيبة ..

وفى يوم ما ، لم يستطع « كلاريكار » أن يستمر فى الاحتفاظ بالسر الذى بيننا .. فاعترف « لهربرت » بانى أنا الذى دفعت حصة اشتراكه فى راس مال الشركة .. وانى انا الذى أوصيت عليه ووظفته منذ البداية ..

ومن أجل هذا ازداد حب « هربرت » لى ، وازداد تقديره لصنيعى الجميل .



بيب الصغير !

الفصل التاسع عشر

بعد احدى عشرة سنة ..

وبعد احدى عشرة سنة .. عدت الى انجلترا مرة أخرى ..

وفى احد ايام ديسمبر .. بعد حلول الظـــلام بنحو ساعة .. كنت أدخل من خلال باب المطبخ فى البيت القديم بمستنقعات « كنت » ..

كان « جو » جالسا على مقعده جوار المدفأة ، يدخن غليونه فى هدوء .. وعلى نفس الكرسى الذى كنت أجلس عليه فى طفولتى كان يجلس « بيب » الصغير .. !



بيب الصغير يشاهد مقابر الأسرة

قفز « جو » من مقعده واندفع نحوى يحتضننى ويقبلنى ·· وجاءت « بيدى » فى عجل وأخذت تقبلنى وتبكى من شدة الفرح بعودتى ·· أما « بيب » الصغير فقد تراجع وهو يشعر بشىء من الخوف والدهشة ··

ولكن لم تمض سوى أيام قليلة حتى أصبحت أنا و « بيب » الصغير أصدقاء أعزاء ·· وكنت أصحبه للنزهة حول المستنقعات ·· كما زرت معـــه مقــابر الأسرة ·· وتذكرت مشاعرى الخاصة عندما كنت فى مثل سنه ·· أزور هذا المكان فى الماضى ··

وعندما حل موعد رحيلى الى لندن ·· لاحظت أن « بيب » الصغير أصبح يحبنى ويتمسك بى ·· تماما مثلما كنت أحبه وأتمسك بأبيه « جو » فى الماضى ·· وظل « بيب » الصغير يلوح لى مودعا الى أن غبت عن نظره ··

ولكن قبل أن اغادر «كنت » عن لى أن أزور موقع بيت الآنسة « هافيشام » ·· كان مجرد أطلال محترقة ·· ولم يبق من البيت شىء سوى الحديقـــة



مقابلة بالصدفة

التى ملاتها الأعشاب ·· وبقايا البوابة الحديدية ··

وجلست على كتلة من الحجر ·· واستسلمت لذكريات الماضى البعيد ·· ذكريات « ستلا » ·· كنت قد علمت بأنها عاشت حياة شقية غير سعيدة مع زوجها « بنتلى درامل » ·· لدرجة انها هجرته وكانت تعيش منفصلة عنه ·· كما علمت أنه قد لقى مصرعه فى حادثة ·· ولكن ذلك كان منذ عامين ·· ولعل « ستلا » قد تزوجت الآن مرة ثانية ··

وظلت الذكريات تطوف بذهنى وأنا اتجول بين أعشاب الحديقة وبين الأطلال المهجورة التى تهب عليها لفحات من برد الشتاء ··

وفجأة لمحت طيف امرأة كانت تقف وحيدة متأملة فى ضوء القمر ·· فاقتربت منها لأعرف من هى ·· وعندما سمعت وقع خطواتى التفتت نحوى ·· وياللهول المفاجأة ·· !

صحت وأنا اندفع نحوها : « ستلا » ·· !.

فقالت بنعومة : « بيب » ! ·· هل عرفتنى ؟!



وادرنا ظهرنا لذكرى الآنسة هافيشام

لقد ذوى يق شبابها ·· ولـــكنها ما زالت محتفظة ببهاء وعظمة جمالها ·· واختفت نظرة التعالى من عينيها وحلت محلها نظرات هادئة حزينة ·· !

وسألتها : هـــل تحضرين الى هنـــا دائمـــا يا « ستلا » ·· ؟

فقالت : لا ·· انى أحضر الى هذا المكان لأول مرة بعد حيـاة طويلة ·· ان هذا المكان هو آخـــر ممتلكاتى ·· وقد بعته ·· وجئت لألقى عليه نظرة الوداع الأخيرة ·· ولكن قل لى ·· هل مازلت تعيش فى الخارج يا « بيب » ·· ؟

وأخبرتها بالنجاح الذى حققته ·· وبانى أصبحت شريكا كاملا فى شركة « كلاريكار » ·· فبدت سعيدة لذلك ·· **وقالت وهى تبتســم فى رقة :** كنيت أفكر فيك أحيانا ·· وجاء وقت كنت ألوم فيه نفسى لأنى تجاهلت حبك الصادق ·· أيـام غرورى وجهلى ·· ولكنى الآن احتفظ لك بمكان عزيز فى قلبى ··

فأمسكت بيدها وقلت : ولكنـك كنت دائما فى أعز مكان بقلبى ·· !